16 em Année No. 808 — Lundi — 26 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٠٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٦٨ — ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الأسرة المنبـــوذة

— ٢ —

نعم يا سيدتى أذكر أنى كنت وأنا صبى أمر فى طريقى إلى الكتاب بمنزل المعلم يوسف النجار فأجده كل صباح جالساً تحت جداره فى يمناه قدومه وفى يسراه يد فأس يسويها ، أو بسحة محراث يقويها ، أو ورش طنبور يجدده ؛ وأصحاب هذه الأدوات من شباب القرية قيام من حوله أو قعود ينتظر كل منهم دوره ليقدم آلته أو ليسأل حاجته . وكان مظهر النجار المرح ومنظر حلقته الصاخبة يغريان صبيان الكتاب بالوقوف فيقفون ليسمعوا هذا يستحثه بالسب لأنه عوّقه عن الحولى ، وذلك يبادره بالعتب لأنه غشه فى خشب الزّحافة ، وذلك يركبه بالدعابة لأنه غبنه فى ثمن النورج ؛ ثم ليروا المعلم يوسف مكباً على عمله ، ووجهه متهلل بالضحك ، ولسانه متحرك بالمزاح ، يجزى على السباب بالنكتة اللاذعة ، ويحتج على العتاب بالحجة البارعة ، ويرد على الدعابة بالسخرية المرة . حتى إذا انصرف الفلاحون إلى حقولهم ، انصرف هو إلى دورهم ، فتسأله هذه إصلاح المطرحة ، وتسأله تلك تثبيت الباب ؛ وهو يجيب كل طلب بابتسام ، ويؤدى كل عمل باهتمام ؛ لأنه يقوم لأهل القرية جميعاً بنجارة البيت والغيط مسانهةً فيأخذ من كل أسرة كيلتين فى موسم القمح وكيلتين فى موسم الذرة . ومن هذه الجباية السنوية يجتمع له ثروة من الحب تظهر بركتها فى عيشه ارضى وباله الرخى وزيه الجميل . واستبد النجار الوحيد بخير البلد وارتفع به الغنى إلى طبقة أعيانه . ونظر يوسف فى أمره فلم يجد فى نفسه حاجة يتمناها على الله غير زوجة تسكون لعُشه الخالى سكينة وزينة . والتمسها فى فتيات القرية فلم ينلها ، لأن الفقيرة أقل مما يبغى ، والغنية أكثر مما يستطيع . فأشارت عليه أمه العجوز أن يتزوج من قرية أخواله وهى على بُعد كيلين من قريته ؛ فدله نصيبه على فتاة رأيناها بعد زفافها عليه ودخوله بها فإذا منظرها يملأ العين ويشغل الفؤاد : جسم بضٌّ ممتلىء يكاد الثوب من ريّه يلتصق به ، وقوام سبطٌ معتدل يتثنى تثنى الغصن الأملد ، ووجه مشرق اللون كأن على كل صفحة من صفحتيه وردة جورية ، أو تفاحة أمريكية ، وساعدان عبلان يحليهما ، من الرسغين إلى المرفقين ، أساور من الزجاج الأحمر المذهب ، ويدان رخصتان تزينهما أسطار من الوشم الأخضر المنمنم وهندام مدنى جرىء ، ظل حديث الدور والمصاطب مدة طويلة !

كثر الفضول حول دار النجار ، فكل امرأة تريد أن ترى وكل رجل يحب أن يسمع ، ومضت الأيام ومال بعض الجارات على بعض يقلن وهن يملأن جرارهن من النهر : إن لامرأة المعلم يوسف لوناً حين يتنفس الصبح ، ولوناً حين يتع الضحى ؛ لونها فى طلعة الشمس أسمر حائل ، ولونها فى ميمة النهار أزهر مشبوب !

ثم مضت الأيام وقالت جارة لصواحبها وهن يحملن الحطب إلى البيوت : لقد رأيت بعينى محمد العطار يقف على باب النجار ويعطى زوجه شيئاً فى السر فأخذته مسرعة وهى تتلفت ، وغيبته

في ثوبها وهي تهمس ، ومحمد العطار هذا بائع جوّال يتنقل بحماره وخُرجه بين القرى المتجاورة ، فيبيع اللبان اللدْن والصابون المسّك والمناديل المزركشة والفوانيس الملونة ، وسلعاً أخرى تتصل بالزينة والتجميل يُسارُّ بها النساء ، فينفرن منها ويطول حديثهن عنها .

ثم مضت الأيام وجاءت جارة أخرى تمرض على جاراتها وهن يخبزن رُغفانهن في الفرن المشترك . حُقة صغيرة من الصفيح الأخضر على غطائها المستدير مرآة ، وفي جوفها الفارغ آثار من صبغ أحمر ؛ وتقول أنها التقطت هذه الحقة خفية من دار النجار ؛ وهي تؤكد أن هذا الأحمر هو (حُسنُ يوسف) الذي طالما أغراهن به العطار ؛ وترجح أن هذه المرأة الفاجرة تصبغ به وجهها ؛ ولا يجرؤ على تغيير خلقة الله إلا الغوازي في القرى وبنات الهوى في المدن . ولابد أن تكون هي من هؤلاء أو من أولئك .

وانتشر الخبر في القرية انتشار الظلام ، فلم يبق من لا يعرف أن زوجة المعلم يوسف تستعمل حُسن يوسف .

ثم مضت الأيام وغدوتُ ذات صباح إلى الكتاب ومررت في طريقي إليه بدار النجار فإذا الحال غير الحال والمنظر غير المنظر: تقوض المجلس وأقفر المكان ، فلا الرجل قاعد تحت جداره ينجُر ولا الجمع حاشد من حوله ينتظر ! وأسأل نفسي وأسائل الصبيان : ما ذا صنع الدهر بالمعلم يوسف ؟ لم يعُد رجل يستأجره لعمل ، ولم تعد امرأة تزوره في حاجة ! فيقولون لقد قاطعه القريب وتحاشاه البعيد ، لأنه تزوج من الخَبيزة ! والخبيزة كما علمت من بعد ، اسم يطلقه أهل المنصورة وضواحيها على الواخير ، ولواخير الفسق ما لحارات اليهود من تعدد الأسماء في مختلف الأنحاء ، على مسماها القذر الواحد .

وطال احتباس الرجل في بيته وتعطُّله من عمله حتى صدىء قدومه ومنشاره ، وبيع في الدين متاعه وعقاره . فاقترحت عليه أمه أن يطلق زوجه إبقاء على سمعته وصحته وصنعته ؛ فقال لها في إباء وألم : وما ذنب هذه المسكينة يا أماه ، وإنك لتعلمين كما أعلم أنها طاهرة الثوب قاصرة الطرف ، وإنما جنى عليها هذه الجناية تقليدها البريء لابنة عمها المتزوجة في القاهرة . وقد حرمت على نفسها منذ أن شاع ما شاع أن تتزين حتى بالزجاج ، وأن تتجمل حتى بالكحل . والرأي عندي أن نهاجر تحت الليل إلى عزبة من العزب المنشأة في أطراف بلقاس فنستأنف هناك حياة جديدة وعسى الله أن يجعلها بفضل براءتنا واستكانتنا موفقة سعيدة .

وأصبح الناس فإذا دار النجار مفتوحة بعد أن ظل بابها مغلقاً أثناء الأنهار سنةً وشهرين لم يدخل منه داخل ولم يخرج منه خارج . فنفذ المارون بأبصارهم إلى دهليزها فلم يلحظوا حركة تبدو ولم يسمعوا صوتاً ينبعث ؛ فتسللوا إليها حذرين مستطلعين فلم يجدوا وا أسفاه إلا ربعاً أوحش بعد أنس ، وروضاً صوّح بعد بهجة ، وشملا تبدد بعد اجتماع .

ثم مضت الأيام وتعاقبت الأعوام وفعل الزمن فعله في العقول والميول فأصبحنا فإذا الرجل هو الذي يشتري الأحمر لزوجته لتصبغ ، ويخلع المعطف عن ظهر أمه لتعرّى ، ويشعل السيجارة لأخته لتدخن ، ويقدم المراقص إلى إبنته لترقص ! !

ما أقربنا من ذلك الزمن وما أبعدنا عن تلك الحياة ! ! كان الولد يشب ثم يتزوج ثم يولد له ويبتليه الله بالتدخين فلا يستطيع أن يعلن ذلك لأبيه ، ولا يجرؤ على أن يدخن في حضرة من يكبره . وكان الأخوة لأب وأم يعيشون في دار واحدة ثم لا يرى أحدهم زوجة الآخر . وكانت المخدَّرة إذا مهَّلت من حجابها ، أو تبرجت بين أترابها ، انتفت منها العشيرة وتحامتها الجيرة . ثم أمسينا فإذا المرأة هي التي تدبر الأمر وتسير العرف وتحجب الرجل . وإن مجلسي منكما هذا المجلس ، وظهوركما على هذا الظهور ، لشاهدان على هذه الحال !

فقالت جارتاي بلسان أوشك أن يكون واحداً في لفظه : تلك سنة الحياة يا أستاذ ! قِدمٌ ينسخه تجدد ، وتأخر يدفعه تقدم ، ورق يخلفه تحرر ! فقلت لهما إن ألفاظ التجدد والتقدم والتحرر كألفاظ الحق والعدل والاستقلال ، لها في كل ذهن معنى ، وفي كل نظام صورة ، وفي كل أمة دلالة . لقد تقدمنا في التعليم ولم نتقدم في التربية ، وجدّدنا في الصوَر ولم نجدد في الفكرة ، وتحررنا من السوط ولم نتحرر من الهوى ، ... وهنا سحبت جارتي اليسرى من محفظتها سيجارة أخرى ، ثم بحثت عن علبة الثقاب فلم تجدها ، فاضطررت إلى أن أقطع الحديث وأدور بين الجماعة ، لألتمس لها من بعضهم ثقاباً أو ولاعة ! !

احمد حسن الزيات

[illegible] توجيه الحظ والنجاح

للدكتور فضـــل أبو بكر

أعيت بالحظ لو ناديت مستمعاً
والحظ عنى بالجهال فى شغل
[illegible]

الحظ أو البخت أو الجد أو غير ذلك من المترادفات [illegible] التى تعنى حسن الطالع والمصادفة الموفقة ، إنما هى ألفاظ كثيرة الانتشار تجرى على كل لسان بل وفى كل زمان ومكان .

والاعتقاد فى الحظ من سعيده أو سيئه ليس مقصوراً علينا نحن معشر الشرقيين دون غيرنا من أمم الأرض ؛ فالغربيون بالرغم عن دعوتهم بأنهم أكثر منا واقعية — وإن كانوا أجنح إلى المادية — يؤمنون أيضاً بالحظ وربما سبقونا فى هذا المضمار .

كلمة الحظ يرددها خاصة الناس وعامتهم . يرددها الغنى فى لهفة وجشع يود المزيد ويخشى الفقر والاملاق ، وهو يشكر للحظ ابتسامته فى كثير من الأحيان ، لأن الثراء يجذب الثراء من غير كبير عناء ، وإنما العناء والمشقة هما فى بداية الأمر عند وضع حجر الأساس لصرح ذلك الثراء والأمل وما فيه من حياة لمحتضر ، ومال لمعوز ، وسعادة لشقى ، وأنس لشجى ؛ هذا الأمل يخول الفقير المعدم أن يترقب ابتسامة الحظ وإن كانت ابتسامة شاحبة حينا وعبوساً وتنكراً من جانب فى معظم الأحيان فيتبرم بحظه ويشكو من قسوة دهره .

ظاهرة الحظ قديمة كالأزل ، فقد ندب آدم ـ عليه السلام ـ حظه وشكا من سوء طالعه الذى أوقعه فى الخطيئة بأكله من الثمرة المحرمة وما ترتب على ذلك من عقوبة وحرمان هما فقدانه الفردوس وخروجه منه ، فكانت جناية جناها على نفسه وعلى بنيه من بعده .

والإنسان من أقدم العصور قد شخص ببصره إلى السماء يرصد نجومها ويترقب ما يجرى فى عالمها ، يسائلها عما يخبئه له الغيب من حظ سعيد أو نحس يحل به . وقد تمخض عن ذلك علم « التنجيم » ثم تطوره بمرور الزمن إلى علم ثابت الأساس هو علم الفلك [illegible] متشابهة — إن لم تكن مطابقة — بحث عن « حجر الفلاسفة » الذى إذا ما لامس معدنا ما صيره ذهباً فجلب بذلك السعد والغنى ؛ وقد كان [illegible] فى وجود علم الكيمياء القديم الذى تطور منه علم الكيمياء الحديث ...

وتلك [illegible] والأحجبة التى لجأ إلى استعمالها الإنسان منذ أزمان بعيدة ، وما زالت بعض الشعوب البدائية تستعملها إلى [illegible] ، إنما ترمى كلها إلى غاية واحدة هى جلب الحظ السعيد ودرء النحس والأذى .

كذلك العرب ، كانوا فى جاهليتهم يتفاءلون ويتشاءمون ، يؤمنون بحسن الحظ ويتقون شر النحس وسوء الطالع ، يتشاءمون من بعض الحيوانات وخاصة بعض الطيور مثل البوم والغربان . وها هو شاعرهم يقول من قصيدة يعاتب فيها قومه ويفاخر بتسامحه وبكونه يدرأ السيئة بالحسنة :

وإن زجروا طيراً بنحس تمر بى ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعداً

بيد أن بعض الناس ، رغم فكرة الحظ السائدة — أو ظاهرته كما يحلو لى أن أسميها — لا يؤمنون بالحظ ، ويعتقدون بأن الايمان بالحظ فيه شىء من ضعف الايمان بالقضاء والقدر وإن كنا لا نشاركهم فى هذا الرأى ، إذ أن الاعتقاد فى القضاء والقدر لا ينافى بحال من الأحوال الإيمان بوجود السعد والنحس .

وهناك بعض من الناس ينكرون الحظ ويحسبونه ضرباً من الخيال والخرافة ورأيهم فيه هو رأيهم فى « الغول والعنقاء » وينعتون من يؤمن بالحظ « بالمشعوذين » والهووسين .

وفئة أخرى تؤمن بالحظ فى قرارة نفسها وتنكر ذلك أمام غيرها لأن فى ذلك خروجاً عن العرف على سبيل « خالف تعرف » كما أن فى ذلك — كما يتوهمون — دليلا على القوة والاعتماد على النفس والاعتداد بها .

بعض ظواهر الحظ ومتناقضاته :

نشاهد فى كثير من الأحيان أن نفراً من الناس قد يلازمهم الحظ السعيد طيلة حياتهم فيفوزون بالجاه والثراء ويصلون إلى القمة من أقصر طريق وبغير عناء شديد ، مع أن مؤهلاتهم

لا تتناسب مع ما حصلوا عليه بل تتنافى معه فى بعض الأحيان ؛ وقد يختلف الناس فى تعليل ما يشاهدون ولكنهم يتفقون جميعاً بأن ذلك النفر محظوظ سعيد .

ونرى أيضاً بعض ذوى الأعمال من الرجال يغامرون فى مشروعات ضخمة ينفقون فيها المبالغ الكبيرة من المال من غير وجل ولا خوف مستبشرين متفائلين ، يكاد الواحد منهم يجزم مقدماً بنجاحه فى شىء من الالهام وقد تسفر النتيجة فى معظم الأوقات عما توقعوه ، مع أن نجاحهم قد لا يكون ناتجا عن تفكير أو تبصر فى عواقب الأمور ، ومثل هذا النفر يرسم لهم الحظ خطاً يسيرون عليه سيراً « آلياً » بخطوات ثابتة .

كذلك ما نشاهده حول « الموائد المستديرة » للعب الميسر نرى بعض اللاعبين قد تكاثرت أرباحهم وقد يكون ذلك ناتجاً عن كونهم أمهر من خصومهم ، ولاسيما فى بعض الألعاب التى تحتاج إلى مهارة مثل النرد والدومينة و « البردج » ، ولكن هنالك أنواعاً من الميسر لا تحتاج إلى حذق أو دراية فى كثير أو قليل مثل أوراق « اليانصيب » إذ من الناس من يفوز بربحها مرات عديدة مع أن غيره قد يكون أكثر مواظبة على شرائها ، وقد يشترى منها الشىء الكبير ومع ذلك يخسر على الدوام .

ومن الناس من يلازمهم النحس طيلة الحياة ، رغما عما يتصفون به من كفاية ودماثة أخلاق ؛ وإذا حصلوا على شىء من الجاه ، فهو أقل بكثير مما يستحقون . والكاتب البلجيكى « ماترلنك » وهو كاتب درامى مشهور نال جائزة نوبل سنة ١٩١٣ يضرب لنا مثالا ناطقاً لبعض منكوبى الحظ فى وصف جاء منه : « أتيح لى أن أتتبع عن كثب حياة صديق بائس خانه الحظ ولازمه النحس فى كل خطوة خطاها . كان مثالا لدماثة الخلق ورجاحة العقل ، ورغما عن ذلك فقد أخفق فى معظم ما تصدى له من عمل ، كما كان يجيد ألعاب الفروسية ، ويحسن استعمال المهند القرضاب ومع ذلك فقد هزمه خصم هزيل ثلاث مرات متوالية وجرح فى كل مرة ، وكان ذلك على أثر خصومة سياسية أفضت بهما إلى المبارزة وألجأتهما إلى تحكيم السيف ، كما تخلى عنه معظم أصدقائه رغما عن وفائه لهم إذ الناس ينفرون ممن ينفر منهم الحظ ، ويقبلون على من يقبل عليهم . ولم تكن حياته الغرامية بأسعد حظا من حياته الاجتماعية ، فقد أحب وأخلص فى الحب ولكنه لم يجن من حبه إلا الخيانة ولم يحصد غير الغدر » .

ظاهرة قانون التسلسل والتتابع :

يقول المثل « إن المصائب لا تأتى فرادى » ، وهو يطابق تماما المثل الفرنسى « un malheur ne vieut jamais seul » نشاهد فى كثير من الأحيان بأن المصائب تتلاحق ويسبب بعضها بعضا ، كما أن النجاح والسعادة يفضيان إلى غيرهما فى شبه سلسلة ذات حلقات سعيدة .

ويمكن أن نطبق هذا القانون على سيرة بعض عظماء الرجال مثل هتلر ونابليون وغيرهما من كبار الناس . ولنأخذ مثلا لذلك نابليون بونابرت .

لما كان نابليون طالباً فى المدرسة الحربية بباريس قال عنه يوماً بعض أساتذته : « إن هذا الطالب القرسقى جنسية وأخلاقاً سوف يتبوأ مكانا عاليا إذا واتاه الحظ » . وقد صدقت نبوءة ذلك الأستاذ وسطع نجم نابليون وتألق .

امتاز نابليون فى حصار ميناء طولون سنة ١٧٩٣ ، وهزم الانجليز وأنصارهم من الفرنسيين الملكيين ، ورقى إلى وظيفة جنرال على أثر ذلك ، كما انتصر انتصاراً باهراً فى حملته على الايطاليين سنة ١٧٩٦ ثم فوزه على النمساويين سنة ١٨٠٠ ؛ ، ثم هزيمته للروس سنة ١٨٠٥ ؛ ، وبروسيا الشرقية سنة ١٨٠٦ ، ثم هزيمته لأسبانيا والبرتغال بعد ذلك ، وهكذا أضحى نابليون سيد أوربا وأعظم رجل بها .

ثم بدأ يخونه الحظ ويأفل نجمه رويداً رويداً وكان بدء ذلك بعد حملته الغير موفقة ضد الروس سنة ١٨١٢ ، إذ حلت بجيوشه هزيمة منكرة فى سهول روسيا المترامية الأطراف المكسوة بالجليد ففتك البرد بجيوشه التى لم تجد مأوى ولا قوتاً ؛ وبعد ذلك هزيمته فى « ليبزج » سنة ١٨١٣ ؛ واحتلال فرنسا سنة ١٨١٤ ونفى نابليون فى جزيرة « ألبا » ، ثم فراره منها وجمعه لفلول جيوشه التى هزمت هزيمة نكراء فى واقعة « واترلو » سنة ١٨١٥ ونفيه فى جزيرة « سنتهيلانة » ، حيث ظل بها يعانى من قسوة الطقس آلاماً جسمية ، ومن قسوة الهزيمة والاخفاق آلاماً نفسية ، حتى قضى نحبه سنة ١٨٢١

إن سيرة هذا البطل تخضع لقانون التتابع في صورة واضحة . نجاح متلاحق متواصل يجذب بعضه بعضا حتى إذا ما وصل إلى القمة أعقبه هبوط متواصل أيضاً كما لو كانت الجاذبية تعمل عملها بجذبها إلى مركزها كل جسم من الأجسام ، وكما تفعل مع جسم قذفته إلى أعلى طبقات الجو فهو يصل إلى غايته القصوى ، ثم بفعل الجاذبية يهبط في خط أقرب إلى الشكل البيضاوى على حد قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه ... توقع زوالا إذا قيل تم

أو قول الآخر :

ما طار طير وارتفع ... إلا كما طار وقع

تبدو هذه الظاهرة أى ظاهرة قانون التتابع غريبة حقاً ، وأكبر عامل يمكننا أن نعلل به هذه الظاهرة هو الثقة بالنفس والإيمان بمقدرتها . إن الثقة بالنفس أساس كل نجاح ، والنجاح بدوره يزيد من تلك الثقة ويقوى الإيمان ، فيتضاعف المجهود ويصدق العزم ، وهكذا يجذب النجاح بعضه بعضاً في معظم الأحيان كما يحدث عكس هذا عندما تضعف الثقة بالنفس ؛ يحدث الإخفاق وتتوالى المصائب والإخفاق بدوره يزيد من إضعاف الثقة بالنفس والروح المعنوية ، وهكذا في شبه دائرة خبيثة حتى تنعدم نهائياً الثقة بالنفس حيث لا يكون غير الهبوط والإخفاق .

الأحاسيس التي تبشر بالسعد أو تنذر بالنحس :

هذه ظواهر مشاهدة لدى الكثير من الناس وقد قصت علينا سيدة تشتغل بالتجارة أنها تشعر مقدما بما إذا كان التوفيق سيحالفها في عملها أم سوف يخونها الحظ، فزعمت أنها في الحالة الأولى تشعر بنشاط يغمرها وبشر يشع من محياها كما تجد في نفسها مقدرة على التعبير والاقناع وقلما يفلت الزبون — في مثل هذه الأحوال — من قبضتها كما أن توفيقها في إبرام صفقة رابحة يرفع من روحها المعنوية ويكثر من تفاؤلها .

كذلك تروى لنا السيدة المذكورة أنها تشعر في أحيان أخرى بانقباض في النفس وقلق — علمتها التجارب بأنهما مقدمة لعدم التوفيق والنحس فيما تقوم به من أعمال ، وأنها لتجزم مقدماً — في مثل هذه الأحوال بالخسارة ، أو على الأقل بقلة الربح .

ومثل هذه الأحاسيس يشعر بها لاعبو الميسر ، بل هم أعرف بها من غيرهم .

وهنالك ظاهرة « التخاطر » التي أثبت علم النفس وجودها كما اعترف وأقر بها « برجسن » ، وهي أن ترى رأى العين صديقاً أو قريباً بمناسبة حادث خطير وقع لها أو تسمع صوتهما وأنت في كلتا الحالتين متمتع بجميع قواك العقلية ، وفي حالة صحو تام .

كذلك قد يكون هذا التخاطر في صورة أحلام ، وقد تنبىء هذه الظاهرة — سواء كانت في حالة يقظة أو في نوع من الأحلام — بما سوف يحدث من خير أو شر .

بعض الطرق المؤدية للنجاح :

١ — الاعتماد على النفس : هو أساس كل نجاح في الحياة وهو ناتج عن القوة والثقة بالنفس ، كما أن عدم الثقة بالنفس هو علامة الضعف ومدعاة للتردد ؛ والمتردد لا شك فاشل على حد المثل الانجليزى القائل « He who hesitates is lost » .

٢ — تجنب سوابق الإخفاق : إن الإخفاق سابقة تجر إلى غيرها لأن في ذلك إضعافا للثقة بالنفس ، وإذا تكررت فقد تخلق عقدة نفسية عصية الحل ومركباً للنقص يصعب الخلاص منه كما يحدث في « فسيولوجية » الهضم مثلا إذا أصيب إنسان مرتين أو ثلاث مرات متوالية بسوء الهضم فقد يخلق في نفسه نوعاً من الخوف « Phobie » كفيلا بإحداث اضطراب قد تطول مدته .

لهذا كان على الطالب الذى يريد أن يدخل في امتحان هام — كالمسابقات — ألا يقدم على ذلك إلا بعد تحضير كاف يكفل له النجاح وألا يقول — كما يقول الكثيرون — : دعني أجرب حظي .

دكتور
فضل أبو بكر
عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

العدد القـــــادم
هــــو
العـــــدد الهجرى الممتاز

إسماعيل في شعر شوقي

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

لأسرة شوقي صلة قديمة بإسماعيل سمحت له في إحدى قصائده أن يقول إنه ولد ببابه، وكان لأبيه وجده من قبل، صلة بآباء إسماعيل، قال الشاعر في مقدمة كتابه الشوقيات: «أخذتني جدتي لأمي من المهد، وكانت منعَّمة موسرة فكفلتني لوالديَّ وكانت تحنو عليَّ فوق حنوِّهما، وترى لي مخايل في البرِّ مرجوَّة حدثتني أنها دخلت بي على الخديو إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه، فطلب الخديو بدرة من الذهب، ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعتُ على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجدَّتي: اصنعي معه مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي؛ قال: «جيئي به إليَّ متى شئت. إني آخر من ينثر الذهب في مصر» وتلك القصة تدل على ما كان بين أسرة الشاعر وعاهل مصر الكبير من رباط وثيق. ومن المؤكد أن لو كان امتدَّ الزمن بإسماعيل في مصر، حتى نضجت مواهب شوقي في الشعر لكان شاعره الأثير، فقد عرف هذا العاهل برعايته للأدب وحبه للشعراء، ولكن الأيام لم تلبث أن أبعدته عن العرش سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف، وشاعرنا طفل لا يعدو العاشرة من عمره بكثير أخذ الزمن يمضي، وإسماعيل مبعد عن بلاده حتى وافته منيته في مارس سنة خمس وتسعين وثمانمائة وألف، واستقبلت مصر جثمانه؛ وهنا يثور الشعر في صدر شوقي أمام هذا المشهد الفذ من مشاهد الحياة، فيضع قصيدة إسماعيل، يحدثنا فيها عن حياته أو عن العبرة في حياته؛ وإن الجو الذي تخلقه هذه القصيدة، وتحيط به القارئ جوُّ حزن وأسى، والشعور الذي تبعثه في النفس شعور أسف على أن تكون هذه الخاتمة خاتمة ملك ملأ عين الدنيا وسمع الزمان حيناً طويلاً من الدهر.

ليت شعري أكانت تلك الحياة غير حلم بهيج امتدَّ ما شاء له الله أن يمتد حتى إذا انقضى الحلم لم يجد صاحبه شيئاً منه في يديه

حلم مدَّه الكرى لك مدّا وسدى تبتغي لحلمك ردّا
وحياة ما غادرت لك في الأحياء قبلا، ولم تذر لك بعدا

ولم لا تكون حياة إسماعيل تلك الحياة، وقد جمعت الضدين: السعادة والبؤس، وعظمة السلطان، وارتفاع الشأن، ثم الانزواء في مكان ناء حيث لا أمر ولا نهي، ولا تاج، ولا صولجان:

لم ير الناس مثل أيام نعما ك زماناً ولا كبؤسك عهدا
كنت إن شئت بدَّل السعد نحساً وإذا شئت بدَّل النحس سعدا
قائماً بالعطاء والسلب فينا كالليالي أو أنت أكبر أيدا
يتمشى القضاء خلف نواهيـ ـك حديد الأظفار يطلب صيدا
ويظل السراة منك كريم رضيت رفده العناية رفدا
ومعز يصيِّر القيد تاجاً ومذل يصيِّر التاج قيدا
أنت من مثل السعادة لو لم يك ذاك النعيم أخذاً وردّا

ولقد أنصف شوقي إسماعيل وكان صريحاً عندما وصف نفسية إسماعيل بأنها نفسية أبيَّة تبغض أن تجد يداً أجنبية تحاول أن يكون لها نصيب في ملكه وسلطانه، فالعاهل العظيم لا يؤوده الدين، ولو كان في ضخامة الجبال، ولكن الذي لا يستطيع احتماله، ولا يطيق عليه صبراً، أن يجد دائنه يحاول أن يفرض عليه سلطانه أو أن يسلبه شيئاً من حرية الرأي والعمل:

قصد الدهر منك ركن المعالي ورمى طودها الذي كان طودا
والأبيُّ الذي أبى المصر في الملك شريكا لو أنَّ ذلك أجدى
لم ينؤ بالجبال ديناً ولكن ودَّ منه الغريم ما لم يودّا

ولقد رجع شوقي القهقرى، فعاد إلى ذلك العهد الذي استقبلت فيه مصر ارتقاء إسماعيل عاقدة عليه كبار الأماني والآمال وها هو ذا الأمير النبيل يحقق آمال وطنه فيه بتلك الهمة العالية التي تريد أن تحيل الجهل علماً، والضعف قوة؛ فها هي ذي يده تشيد في كل يوم للعلم صرحاً، وتنشئ للوطن جيشاً، وتقيم مظاهر الحضارة والعمران لتصبح مصر جديرة بأن تنال ما هي أهل له من عظمة وجلال، وها هو ذا العاهل العظيم يصغي إلى أمنية بلاده في الحكم النيابي، فتنال الأمة ما تتمناه، ويصون لها مظهرها الخارجي، فوفوده تترى إلى الملوك تنبئهم بأن مصر استيقظت تريد أن تظفر بمكانها نبيلة كريمة، وإذا كان لسلاطين الترك على مصر شيء من الأمر، فهدايا إسماعيل تعرف كيف

تستخلص حقوق مصر من أيديهم ، والمال فى سبيل الآمال رخيص مهما كان كبير القـدار . استقبلت مصر إسماعيل يوم ولايته بقلب عامر بالآمال :

لبس الشرق من لقائك تاجاً   وتلقى أعوام رشـدك عقدا
وجرت فيه بالسـعود جوارٍ   لك منّين مصر ملكا ومجدا
كلَّ يوم صرح بشَيَّد للعلـم ، وظلٌّ يمدُّ فى مصر مدًّا
ولواء ، وعـدّة ، وعـديد   ونظامٌ ترى به الشهب جندا
وغزاة فى البيض والسود تبغى   مصر فيهـا مجدّداً مستردًّا
وبريد لمـا تسـيل به القضب ، وثان بالبرق أجرى وأهدى
وخطوط بها التنـائى تدان   وبخـارٌ به الأقاليم تندَى
وبيـوتٌ لله ترفعُ فيهـا   وقصورٌ تُشادُ للحكم شيدا
وأمانىّ للرَّعيَّـةِ توفى   وحقوقٌ فى كلِّ يوم تُؤدَّى
ووُفودٌ إلى الممالك تزجى   وثمينٌ إلى الخوانيق يُهدى

وفى هذا البيت الأخير سياسة إسماعيل نحو سلاطين آل عثمان يهدى إليهم ثمين الهدايا ، ليظفر منهم بما يحقق آماله وأمانيه .

ولـكن إسماعيل يسير إلى غاياته فى غير تمهل ، ويمضى إلى هدفه غير متلبث ولا وانٍ كأنه كان يخشى — والعمر قصير — ألا يحقق آمال قلبه الـكبير ، وهنا يتحدث شوقى وكأنه يهمس إلى الأمير العظيم أو يناجيه بأن فى التأنى السـلامة ، وما كان أخلق الأناة أن تحفظ التاج لربِّ التاج ، وأن تصون السعادة والمجد للراعى والرعية ! وما كان أخلق الحذر بأن يصون العرش من تلك الأيدى التى امتدت رقيقة ناعمة ، فلما ملكت أصبحت شديدة عسراء . ولنصغ إلى هذه المناجاة الحزينة :

يا كبير الفؤاد والهم والآ   راب مهلاً مهلاً رويداً رويدا
لم تـكن حقبة أساءت علياً   فى جنى عمره لتحفظ ودًّا
خذلت منه واحد الترك والعرب ، وسامت سيف المشارق غمدا
لا غراماً بحاسـديه ولـكن   رهباً أن يبلـغ الشرق قصدا
ولأنت ابنه الذكى فهـــلا   جئت بالطلبة الطريق الأسدا
فتأنيت ، والتأنى فـــلاح   وهو ياثاقب النهى بك أجدى
وحميت الأيدى العوادى أن تد   نو ، وأن تمتلى ، وأن تتصدى
بالغت بعـد لينها لك فى العسـ   ـر ، وصار الوعيد ما كان وعدا
وإذا العصر والملوك خصوم   لك ، والناس والمحبون أعدا

ويختم هذه المناجاة بهذا البيت الحزين المبدوء بلو :

ولو أنا صـــنا وصنت ، لمشـ   ـنا الدهر فى العز والسيادة رغدا

وكأن هذه المناجاة قد أثارت فى نفس الشاعر الـكبير ذكرى هذا اليوم الذى لا ينسى فى تاريخ إسمـاعيل ، وهو يوم افتتاح قناة السـويس . وهل شهدت مصر فى تاريخها الحديث مهرجاناً مثله ، جعل اسم إسمـاعيل على كل لسـان ، وذكر مصر فى كل مكان . أين هذا اليوم الذى جعل البحرين يلتقيان ، وأضافت مصر فيه ملوك الزمن ، وعظماء الأمم ، يجدون عند إسماعيل ، كرماً أندى من البحر ، وأعذب من ماء النيل . ما بال هؤلاء الملوك قد تغيروا مع الدهر ، وانقلبوا انقلاب الأيام ! وما بال تلك الصور قد مرت كأحلام الليل ، لا يلبث الصبح أن يتنفس حتى تمضى ولا تعود !

نهضت مصر بالزمان نزيلا   وبأهليـــه يوم ذلك وفدا
خطروا بين زاخرين ولاقوا   ثالثاً من نداك أحلى وأندى
بين فلك يجرى وآخر راس   ولواء يحدو ، وآخر يحدى
وملوك صيد براح بهم فى   واسم الريف والصعيد ويغدى
صورٌ لم يكنَّ حقاً ، وحلم   فجع الصبح فيه لمـــا تبدى

وهنا لاينسى شوقى أن هذا الجلال الذى بدت فى ثيابه البلاد قد دفعت مصر ثمنه غالياً ، قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، وكأن عقل الشاعر ضاق عن أن يدرك كيف أنفقت فتساءل قائلا :

وقناطير يجفـل الحصر عنها   كل يوم تمـدها مصر عدا
ليت شعرى ؟ هل ضمن فى الماء ، أم هل   يضـــمر المـاء للودائـع ردا

ولـكن الشاعر كان عظيم التفاؤل فأقسم ليعودن هذا المال إلينا كما ذهب ، ولسوف تـكون تلك القناة مصدر سعادة الوطن كما كانت ينبوع بؤسه وشقائه فيقول :

ليعيدنها إلينــــا بوقت   زمنٌ طالمـا أعاد وأبدى
إن ماء أجرت يداك لنرجو   أن سيحيى البلاد من حيث أردى

ويخيل إلى أن سر هذا التفاؤل إنما هو التأدب أمام ذكرى الراحل الـكريم ، أما الحوادث التى مرت على الوادى بسبب القناة فقد أوحت إليه بالسخط على حظ مصر منها . وها هو ذا يقول فى قصيدته الـكبيرة التى يؤرخ فيها لـكبار الحوادث فى وادى النيل

جمع الزاخرين كرها فلا كا ... نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمر عنـــد أبيض للبرايا ... حصة القطر منهما سوداء

وليس منشأ تلك النظرة السوداء إيمانه بأن تلك القناة عمل باطل لا خير فيه للوطن ، بل هي — كما قال في أسواق الذهب — عز الغد ، وكنز الأبد . والمنجم الأحد ، والوقف الذي إن فات الوالد فلن يفوت الولد .

وإذا كان هذا المجاز - كما قال أيضاً — هو حقيقة السيادة ، ووثيقة الشقاء أو السعادة ، خيط الرقبة ، من اغتصبه اختص بالغلبة ، ووقف للأعقاب عقبة — فلن تكون مصر السعيدة الرابحة إلا إذا كان لها خالصاً ، وسلطانها عليه تاماً . ولقد كان شوقي صادقاً في ثورته ، شأن كل مصري يرى على ضفتي القناة جنوداً وعُدَّة ليس لمصر فيها فتيل ولا قطمير ، يقول شوقي لولديه أنظرا ترى على المَعْبرين عبرة الأيام ، حصون وخيام ، وجنود قعود وقيام ؛ جيش غيرنا فرسانه وقواده ، ونحن بعرانه وعلينا أزواده ، ديك على غير جداره خلا له الجو فصاح ، وكلب في غير داره انفرد وراء الدار بالنباح .

ولا زال هذا شعورنا إلى اليوم ، فما دامت القناة ليست لنا فهي خطر البلاد الأغبر ، من التقاء الأبيض بالأحمر . ولعل ما تنبأ به شوقي يتحقق في القريب فتحيا البلاد بالقناة ، وتصبح ينبوع عز ومجد ورخاء .

وإذا كان يوم افتتاح القناة من أيام إسماعيل التي لا تنسى ؛ فهناك من آثاره الغر المخلدة ما لا ينساه التاريخ ولا تستطيع مصر أن تنساه يوماً ؛ فقد أنشأ لها جيشاً مدرباً قادراً ، فتح به أرجاء السودان وقسمه ونظمه ، وإن ارض السودان لجديرة أن تفتدى بالمال والدماء . وقد امتدت الآمال بإسماعيل ، وداعبته الأماني ، تغريه أن يملك كل منابع النيل . فلم يكفه خط الاستواء ، وراح إلى الحبشة يغزوها ، يريد تلك المنابع التي تجلب الخير إلى مصر مع طميها . وكم ودّ أن يركز فوق تلك المنابع رايته ، فكانت غزوة مشئومة أودت بجيش مصر ، وانتصت إلى الشاعر يحدثنا بزهو وفخار عن جهود إسماعيل في السودان :

وملكت السودان في الطول والعر ... ض ، وفي شأنه المعظم عبـــدا
نلت بالمال والدما منه أرضاً ... بجبال الياقوت والدر تفدى
ثم نظّمته ممـــالك كانت ... نار تنظيمها سلاماً وبردا
فهنئنا به السعادة عمراً ... وأصبنا به المعين المعدا
وطريق البلاد نحو المعالي ... وسياجاً لملك مصر وحدّا

ولكن هذه النغمة الفرحة لا يلبث أن يشوبها الألم والحسرة عند الحديث عن غزوة الحبشة وما نال جيش مصر القوي فيها .

ليت لم تغش بعده في حماها ... حبش السكر والخديعة أسدا
سلبوا مصر أي جيش كريم ... كان للمجد والفخار أعدّا

وما أشد الحسرة تنبعث من هذا البيت :

أنت أنشأته فلم تر مصر ... جحفلا بعده ، ولم تر جندا

وهنا تنهار آمال إسماعيل في فتح تلك الديار .

ونفضت اليدين يأساً على الرغ ... م كأن لم تجد من الصبر بدا
وإذا لم يكن من الله عون ... فاطّراح الآمال بالنفس أبدى

وحين انتهى شوقي إلى هذا الحد ، وقف يتأمل العبرة في هذه الحياة المجيدة التي قلب الدهر لها ظهر المجن ، « وما إسماعيل إلا قيصر لو أنه وفق ، والإسكندر لو لم يخفق » . ولقد راع شوقي أن رأى الناس يشبهون الدهر في غدره وتقلبه ، فأين الملوك الذين وفدوا إليه ، وأين السادة الذين تربوا ببابه ، وأين الأصدقاء الأوفياء ؟ لقد أعرض كل هؤلاء وجفوا ، وكفر بالنعمة قوم لو لا إسماعيل ما عرفوا معنى الحياة .

ما لمصر رآك في العز لا ير ... سل دمعاً ، ولا يبلل خدا
أين ود عهدت منه وعطف ... وولاء مؤكد كان أبدى
وملوك له أتتك وسادا ... ت حداها إليك وفداً وفدا
أبت الناس فيك للناس إلا ... أن يجاروا الزمان وصلا وصدا
فرأيت الحميم أول جاف ... ووجدت الولي في البؤس ضدا
ورجالا لولاك لم يعرفوا المجد ... ش أبوا أن يقدّموا لك حمدا
ما رأوا بعدك الأمور ولكن ... يحسنون الكفران حلا وعقدا

ولقد مر بمصر من الأحداث ما كان مدعاة لأن يذكر الناس هذا العاهل ، وما كان ينتظر منه لو أنه ظل على العرش يحوطه ويرعاه . ولقد كان الظرف الذي أنشئت فيه تلك القصيدة مدعاة لأن يثير في نفس الشاعر هذا المعنى ، وما كان أخلق دهاء إسماعيل أن يمر ببلاده وقت العاصفة بسلام لو أنه لم يقص عن عرشه إقصاء

بان مجد البلاد إذ بنت والصفـ … ـو ، وكان الرجاء حياً فأودى
ودهتك الخطوب فينا فلم تتـ … ـرك صواباً لنا ولم تبق رشدا
ولقينا من الحوادث ما لم … يك يعيا به دهاؤك ذودا
فبكى البائسون منك حساما … طالما قدَّ هامة الخطب قداً
وبصيراً إذا الشورات لم تنجد … ذويها ساس الأمور مُسددا

والآن بعد أن قضى حقوق التاريخ ، ووقف يستقبل هـذا لجسد الهامد ، عاد إلى وطنه بعد طول غيبة ، ليرقد فيـه رقدة الأبد ، وليستريح بعد ما قاساه من عناء الغربة ، وبعد البنين ، وفقدان الصحة والشباب ؛ والجاه والسلطان ، وإن مصر لوفية وإن ظُن منها الجفاء ، مقبلة وإن خيل منها الإعراض ، لا تحمل لخادمها بغضاً ، ولا تكن له حقـداً ؛ وإذا كانت الظروف قد جرت على مصر بعض المحن فقد غفرت مصر لإسماعيل كل شيء ؛ فقد كان يبغى لها المجد وضخامة السلطان ، وترك لها ما خلد من جليل الآثار .

نازح الدار ما لبينك حـد … ولقرب الديار زادك بعدا ؟ !
هكذا من قضى حنيناً وشوقا … وأنيناً مع الظلام وسهدا
شاكياً للبنين والأسر والصحـ … ـة والجاه والشبيبة فقدا
عد إلى مصرك الوفية وانزل … فى ثراها واسكن من المهد لحدا
لا تقل أعرضت بلادى وصدت … مصر خير هوى وأكرم عهدا
وقبيح بالدار أن تعرف البغض … وبالمهد أن يباشر حقدا
غفرت مصر ما مضى لعلىّ … وبنيـه وللحفيد الفدى
ولآثارك الجلائل فيهـا … ولجسم من نأيها خر هـدأ

وختم شوق قصيدته محاولا أن يظهر سأمه من الحياة وبرمه بها ، ولكنه ضعف ونزل عن مستوى قصيدته الأول : ولم يدل شعره على انفعال حقيق حاد .

لقد أنصف شوق إسماعيل فى تلك القصيدة فذكر بإعجاب مآثره على هذا الوطن ، ولم ينس أن يبين برفق فضل الأناة والإصلاح على مهل .

ولشوق مقطوعة أخرى قالها حين أشرف فى مدينة نابلى على الدار التى كان يقيم فيها إسماعيل ، وهنا ذرف عبرتين أثارهما فيه هذا الزمن المتقلب وما مر بإسماعيل من إدبار بعد عز ونعيم ، فها هو ذا يضطر إلى مغادرة داره والرحيل عن بلاده ، ويستقبل فى كل يوم من الدهر آلاماً مبرحة حتى تنتهى متاعبه بالموت :

أبكيك إسماعيل مصر وفى البكا … بعد التذكر راحة المستعبر
ومن القيام ببعض حقك أننى … أرنى لعزك والنعيم المدبر
هذى بيوت الروم كيف سكنتها … بعد القصور المزريات بقيصر
ومن العجائب أن نفسك أقصرت … والدهر فى إحراجهـا لم يُقصر
ما زال يخلى منك كل محلة … حتى دفعت إلى المكان الأقفر

وشوق فى غير هذا الشعر الذى خصه بإسماعيل وأنشأه من أجله لا يكاد يعرض لذكره إلا مقترناً بأسمى آيات الإجلال والتكريم ، فهو وفى لأبناء إسمـاعيل ؛ لأنه ولد ببابه وارتدى آلاءه فمن العار أن يخونه فى بنيه .

أأخون إسماعيل فى أبنائه ؟ ! … ولقد ولدت بباب إسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة بيته … فلبست جزلا وارتديت جميلا

وعند افتتاح الجامعة المصرية ، وكان الفضل فى إنشائها لابنة إسماعيل الأميرة فاطمة لا ينسى شوق أن يشيد بولائه لبيت إسماعيل وأن يرى فى عمل الأميرة قبساً من نور والدها المظيم فيقول :

شمائل كان إسماعيل معدنهـا … قد يخرج الفرع شبه الأصل للناس

وكثيراً ما نراه فى حديثه مع المغفور له فؤاد الأول يلقبه بابن إسماعيل ويدعوه أن يقفو فى الإصلاح إثر المصلح الكبير :

هلمّ مثال إسماعيل وانسج … على منواله المنن الجساما

وأحب أن أشير إلى موضعين آخرين أطال فيهما شوق الحديث عن إسماعيل . أما الموضع الأول فالقصيدة التى ودَّع بها اللورد كرومر ، وقد أقام له رئيس الوزراء يومئذ مصطفى باشا فهمى حفلة وداع فى دار الأوبرا ، وخطب اللورد فى هذه الحفلة فأهان الأمة وأهان الخديو إسماعيل فى وجه الأمير حسين كامل ولم يراع شيئاً من الأدب ولا المجاملة ، فأنشأ الشاعر فى ذلك الحين قصيدة ثائرة ، تعبر عن نفس كليمة وقلب موتور . وليس المجال مجال تحليل تلك القصيدة الرائعة ، ولكننى أكتفى هنا بدفاع شوق عن إسماعيل ، فقد تمدَّح المحتل بأنه جلب لمصر الغنى ومدَّ لهـا أسباب الحضارة ، وقضى على إسراف إسماعيل وتبـذيره فخاطبه قائلا :

قالوا جلبت لنا الرفاهة والغنى … جحدوا الإله وصنعه والنيلا

وحيــاة مصر على زمان محمــد   ونهوضها من عهــد إسماعيلا
ومدارساً يبنى البلاد حوافلا   حظ الفقير بهن كان جزيلا
قد مدّ إسماعيل قبلك للورى   ظل الحضارة فى البلاد ظليلا
إن قيس فى جود وفى سرف إلى   ما تنفقون اليوم عدّ بخيلا
أو كان قد صر [illegible]   فلـكم صرعت بدنشواى قتيلا
لا [illegible] كرباج فى أيامه   من بعــد [illegible] فيه ذيولا

وما أجمل هذا التهكم يزجيه شوق للمحتل الذى يعدّ من سيئات إسماعيل إكثاره من بناء القصور :

وامدح قصوراً شادهنّ بواذخاً   قد أصبحت مأوى لـكم ومقيلا
لوْ أنهُ لم يبنهـا لتخـذتمو   منها المضارب والخيام بديلا

والموضوع الثانى قصيدة أنشأها يحيى بها المؤتمر الجغرافى الذى وفد إلى مصر فى عهد الملك فؤاد ، وكان إسماعيل قد أنشأ فى عهده سنة خمس وسبعين وثمانمائة وألف جمعية جغرافية وكان المؤتمر نزل بدارها فكان فى ذلك ما يجدّد ذكر إسماعيل قال يخاطب رجال المؤتمر :

كفى بدار تبوأتم أرائـكها   من عبقرية إسماعيل عنوانا

ولقد هاجت به الذكرى فذكر أنه لو أدرك عهد إسماعيل لنال ما لم ينله المتنبي من سيف الدولة :

ولو مشت بى الليالى تحت كوكبه   غادرت أحمد نسياً وابن حمدانا

وقد وجد شوق المجال لإحياء ذكرى إسماعيل فأخذ يعدّ مآثره وجليل أعماله :

ذو همة كفؤاد الدهر لو نظرت   إلى بعيد دنا ، أو جامح لانا
بانى المآثر يعجزن الملوك بنى   بكل أرض لـكسرى العلم إيوانا
مدّ الـكنانة أطرافاً ووسّـعها   ملكاً وأترعها خيلاً وفرسانا
وفجّر المـاء فى جناتها فـرق   ما كان بين عيون النيل ظمآنا
ونص فى ثبج الصحراء رايتها   كالنجم يهدى بأقصى الليل حيرانا
لا تبرح الخيل بالسودان ملمها   حتى تغازل بالصومال أرسانا
ولا حقيقة من ملك ومن وطن   حتى ترى السيف دون الملك عريانا

وقد أفصح شوق فى هذه القصيدة فذكر أن الذى أحبط جهود هذا العامل ، فلم يجن ثمار عمله ، هو إنجلترا أدهى الممالك وشيطان الدول ، فأينما كان يتجه يجد منها ما يفسد عليه غايته :

شيطان ملك وفتح قد أتيح له   أدهى الممالك والدولات شيطانا
لم يمض فى غارة إلا أصاب لها   كيداً ينازعه الغايات يقظانا

وهكذا ضاعت آمال إسماعيل التى بناها ، يريد بنـاء ملك عريض وطيد :

خيـال ملك [illegible] ، وكانت حظر (ياباتا)
[illegible] دنياه وموكبها   حتى سحبنا على الأحلام نسيانا

وفى تلك القصيدة تعرّض شوق لتهمة إسراف إسماعيل ، ودافع عنه بأنه إنما أسرف فى سبيل بناء الملك والنهضة والإصلاح

وبعد فهذه صورة إسماعيل فى شعر شوق الذى كان [illegible] — [illegible] عن [illegible] كله — [illegible] والشرق وبهذا [illegible] من شوقياته .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

الرمزية في التفكير الانساني

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

مهما سما حظ الحيوان من الذكاء ، وأيا كانت قدرته على تعديل سلوكه والتصرف والاحتيال إزاء المواقف الجديدة تحقيقاً لأغراضه ، يبقى برغم ذلك فرق جوهري يميز الذكاء الإنساني من ذكائه ، فرق يولد فروقاً أخرى جوهرية هي السر في تربع الإنسان على عرش الكائنات الحية ، وسيطرته على الطبيعة بقدر ما يكشف من أسرارها وقوانينها . وسأحاول في هذا المقال أن أشرح هذا الفارق والفروق الأخرى الفرعية . أما الفارق الأصلي هو : أن الذكاء الإنساني ليس ذكاء حسياً فقط بل ذكاء رمزيا أيضاً ، فالوظيفة الرمزية في التفكير الإنساني هي الفيصل الحق بين عقل الإنسان وعقل الحيوان ، ولذلك ينبغي أن نذكر أن كلمة تفكير لا تطلق على الحيوان إلا تجاوزاً — إنما التفكير الحق هو التفكير الرمزي .

بيان ذلك أن الحيوان يدرك الموجودات المادية إدراكاً حسياً ، أي تنطبع صور الأشياء التي يحسها بحواسه على صفحة الذهن . فهو يدرك كائنات مفردة أو جزئية — حسب التعبير المنطقي — ويستعيد صورها في غيبتها ، ويتعرف عليها إن رآها بعد ذلك . الكلب مثلا : يرى صاحبه فيدركه إدراكا حسياً ، ويرى غريباً فلا ينقطع عن النباح مما يدل على أنه أدرك الغريب ، وعلى أنه يستطيع التمييز الحسي بين شيئين كما استطاع التمييز حسياً بين صاحبه وبين الغريب . وإذا تغيب صاحبه ردحا من الزمن وعاد بعده إلى بيته ، اندفع نحوه وقد بدت عليه علامات الارتياح التي تم عن وجود القدرة على التذكر والتعرف فالحيوان يحظى إذن بعديد من القوى العقلية الموجودة لدى الإنسان كالإدراك الحسي وترابط الصور ، والتمييز والتخيل والتعرف والتذكر ، بل إن بعض الحيوانات حتى العصافير تتحرك حركات استدل منها بعض علماء النفس الحيواني على وجود الأحلام لديها . بيد أن هذه العمليات جميعاً لا تتجاوز المستوى الحسي بأي حال ، فما يكون في ذهن الحيوان إذ يدرك أو يتخيل أو يحلم ليس إلا صورة أو مجموعة من الصور الحسية لأشياء جزئية مشخصة ، تتوالى على صفحة الذهن ، متداخلة متشابكة متفاعلة ، كما تتوالى صور الفلم على الشاشة البيضاء .

إن المادة التي يعالجها عقل الحيوان هي صور الموجودات الجزئية الموجودة في زمان معين ومكان بالذات ، والمتصفة بالصفات الحسية كاللون والطعم والرائحة والشكل والحركة والصوت واللمس ، وليس بمقدور الحيوان — أيا كان ذكاؤه — أن يسمو إلى إدراك المعاني الكلية التي يستخلصها الإنسان من مدركاته الحسية . فالإنسان لا يقف عند حد إدراك الأفراد إدراكا حسياً وتذكرها وتخيلها ، ولكن يدرك أيضاً ما تشترك فيه من صفات ويسقط أوجه الخلاف ، ويجرد بذلك المعنى العام الذي يدل عليها جميعاً . يدرك عمراً وزيداً وفلانا وفلاناً من الناس ، ويتغاضى عن الصفات التي يختلفون فيها من طول وشكل ودين وأخلاق ، ويدرك فوق ذلك أنهم جميعاً — بصرف النظر عن حالاتهم الخاصة — يشتركون في صفة الإنسانية . لا يدرك الكلب والقط والعصفور فقط ، بل ينتزع من أفراد كل نوع من هذه الأنواع معنى عقلياً — لا حسياً — هو معنى الحيوانية الذي ينطبق على أفراد الحيوان جميعاً بنفس الدرجة . يدرك الإنسان تصرفاً من التصرفات الجزئية ويحكم عليه بأنه خير ، ويدرك تصرفاً آخر ويحكم عليه بأنه شرير ، فهو يدرك إذن معنى الخير ومعنى الشر إطلاقاً ، أي بغض النظر عن الفاعل وظروف الفعل . يدرك الإنسانية والحيوانية ، والخير والشر ، واللذة والألم ، والموت والحياة ، والحرارة والبرودة ، والسعادة والشقاء ، دون نظر للأمثلة الجزئية التي تدل عليها هذه المعاني ، ومن هنا كانت العملية العقلية التي تتغاضى عن الجزئيات بصفاتها الحسية لتستخلص المعنى العام الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تدعى عملية التجريد .

وظيفة التجريد تزود الإنسان بالمعاني التي ترمز إلى ملايين المدركات الحسية ، فتوفر عليه مجهوداً عقلياً جباراً ومجهوداً جسمياً أكبر . لذلك كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يتجاوز عقله المستوى الحسي إلى المستوى العقلي المطلق من قيود الزمان والمكان ، وكان أقدر الحيوانات على التصرف والتكيف للظروف ، فهو

لا يحتاج إذ يفكر إلى تمثل صور الموجودات التي يفكر فيها ، بل يكفي أن يستحضر معنى واحداً كالإنسانية يقوم مقام الملايين من الأفراد الجزئية المحسة . الحيوان يتعامل بالمواد المحسة ، والإنسان قد يدع الموقف الحسي جانباً ، ويرجع إلى عقله متعاملا بالرموز التي تمثل عناصر الموقف . فهو إذ يريد أن يشيد بناء ضخما ، لا يستحضر المواد الأولية من حجارة وأخشاب وحديد وأسمنت ثم يعمل فكره في هذا الخليط مجرباً بانياً ثم هادماً ليصلح ما فسد ويقوم ما انحرف ، ولكنه يتناول القلم والقرطاس ويسطر المربعات والمثلثات والدوائر وغير ذلك من الرموز الهندسية والمعادلات الجبرية والحيل الميكانيكية حتى يتم التصميم . وما التصميم إلا مشروع عقلي صرف ، تم نتيجة التأليف بين رموز عدة ، فهو بدوره رمز يمكن تنفيذه في الواقع في أي وقت وفي أي مكان وبأي نوع من المواد . ثم يشرع الإنسان بعد ذلك في تنفيذ التصميم بتشييد بناء هو حالة مفردة جزئيـة من حالات عدة في حيز الإمكان .

يتفرع عن القدرة الرمزية إذن قدرة إنسانية فريدة هي الاختراع الذي نخطئ إن اعتبرناه مستنداً إلى الذكاء العملي اليدوي وحده ، وهي السر كذلك في القوة الفكرية العظيمة والإنتاج الإنساني الصميم ، أعني به « اللغة » ، فاللغة مجموعة من الرموز يحملها ما أدرك من صفات وما أحس من مشاعر وما يبغي من آمال ، وينقلها إلى غيره عن طريق الإشارة أو الإيماءة أو اللفظ ، فيكفي أن أتفوه بلفظ إنسان حتى تبرز في ذهنك الصفات التي ينطوي عليها معنى الإنسانية الذي يرمز إلى جميع أفراد الإنسان ، وتتتابع على صفحته صـور حسية عدة ، مختلطة مبهمة ، مثيرة مجموعة من الذكريات والأخيلة والأحاسيس لا حصر لها .

طالما ردد الفلاسفة « إن الإنسان حيوان ناطق » ، ورددنا نحن قولهم هذا دون تدبر لحكمة اختيارهم لفظ النطق للدلالة على التفكير . وبعـد ما أسلفنا تتبين العلاقة الوثيقة بين اللغة وبين الرموز ، بين اللفظ وبين الفكرة ؛ فاللغة نتاج القدرة الرمزية ، واللفظ المنطوق به حامل للفكرة المعقولة موشاة بخليط من المشاعر النفسية التي لا تنفصل بحال عن مجرى التفكير ، ويتبين صدق الفلاسفة إذ جعلوا النطق — أي التفكير الرمزي — فيصلا بين الإنسان وسائر الحيوان ، يتبين صدقهم لسببين :

الأول : أنه رفع الإنسان فوق الزمن وحرره من قيود المكان وأ كسبه قدرة عقلية فائقة لم تكن لتتيسر له لو اقتصر على التعامل بالجزئيات ، وقدرة عملية ممتازة تتضح أ كثر ما تتضح في المخترعات والمنتجات الصناعية والفنية المختلفة .

والثاني : أنه شكل حياة الإنسان الاجتماعية تشكيلا راقياً ؛ ذلك أن اللغة يسرت اتصال الناس بعضهم ببعض اتصالا فكرياً وعاطفياً في آن واحد ، فهي أداة التعبير عما يدور في الذهن من معان ، ووسيلة الربط بين القلوب بما تنقل من مشاعر .

تؤدي اللغة كل ذلك بأيسر وسيلة وأروعها ، وهي لا تربط بين فردين في صعيد واحد فقط ، بل تصل بين أفراد وأقوام تفرقوا شيعاً في شعاب الأرض قاصيها ودانيها ؛ ولا تربطنا بالأحياء فقط بل بالسلف وقد واراه التراب ، وطواه التاريخ في عصوره السحيقة . ألفت اللغة إذن بين القاصي والداني ، وبين الأحياء والأموات ، وبين الصغار والكبار ، وبين المتمدنين والبدائيين . وتيسر بفضلها خزن التجارب والمعارف نقوشاً على جدران المعابد ورموزاً في بطون الكتب سجلا خالداً يغني عن تجشم الصعاب التي تجشمها غيرنا ، ويوفر علينا جهداً هو حقيق أن يبذل في تحصيل معارف جديدة وكسب تجارب مفيدة ، تضيف إلى تراث الإنسان ذخائر جديدة . ولما كانت اللغة بمثابة النافذة التي نطل منها على نفوس البشر وعقولهم كانت بحق أداة الوحدة الاجتماعية أو عامل التكامل الاجتماعي — على حد تعبير مدرسة علم النفس التكاملي — عامل التأليف بين عقول البشر وقلوبهم وأذواقهم حتى قال بعض المفكرين إنه إذا كان للأفراد متفرقين عقول خاصة ، فلهم مجتمعين عقل عام يسمونه « العقل الجمعي » الذي يتولد عن اجتماع عقول الأفراد ويزيد عن مجموعها . فالأفراد مجتمعين يكتسبون كياناً مستقلا عن كيان الأفراد ، وللمجتمعات منطق خاص يعلو على منطق الأفراد ، وإرادة تفرض نفسها على إرادة الأفراد الجزئية ، ونفوذاً يكسر من شوكتهم .

وغير خاف أن التكامل الاجتماعي ، أو متانة البناء الاجتماعي ميزة حظي بها الإنسان — بفضل الوظيفة الرمزية — بينما الحيوان لا يزال في مرتبة دنيا من حيث الترقي الاجتماعي . ألا صدق الفلاسفة الذين فصلوا بين الإنسان والحيوان بوصفهم الإنسان بالحيوانية والنطق .

عبد المنعم المليجي
مدرس الفلسفة بحلوان الثانوية

أبو خليـــــل القباني

باعث نهضتنا الفنية

وتقويض أركان مسرحه بدمشق

للأستاذ حسني كنعان

(تابع)

نقل الوالي « صبحي باشا » الذي كان يعطف على القباني ويشجعه في عمله الفني والترفيه عنه وتحسين مسرحه ، وأقيم مقامه حمدي باشا في دمشق ؛ ثم نقل هذا الباشا وأقيم مقامه غيره ، وما من والٍ أتى دمشق إلا كان مناصراً ومشجعاً وآخذاً بيد هذا القباني .

وكان معجباً بعظيم فنه ، ولـكن الولاة هنا كانوا متفاوتين ومتباينين في التشجيع ، فالبعض منهم كان يشجعه لنصرة الفن ونهضة البلاد وتغذية العقول وتنويرها ، والبعض كان يشجعه لمرام وغايات سياسية القصد منها إشغال الشعب ولهوه وصرفه عن النظر المعايب وكشف العورات ، إلى أن آل الأمر في ولاية دمشق إلى الوالي « مدحت باشا » ذلك الداهية التركي المعروف صاحب حادثة الطائف وصاحب المواقف العظيمة في المناداة بالحرية والعدالة والمساواة .

والغالب على الظن أنه أقصي عن دار الخلافة إقصاء وأبعد إلى دمشق خشية استشراء حركته التحررية وتفشيها .

وخنق في الطائف بتحريض الحاكم بأمره جبار بني عثمان ..

وكان هذا الوالي من كبار ساسة الأتراك وعظماء رجالاتهم ، وقد مكث في دمشق أربع سنوات على التحقيق عمل فيها من الإصلاح والتشييد والبناء ما خلد له في هذه الديار أعظم الذكر ، وهو الذي خط « ســوق مدحت باشا » جعل بدايته من باب الجابية ونهايته في أول حيّ الخراب الموصل إلى باب توما وحيّ اليهود ، وإلى هذا فقد أصلح المساجد وعبد الطرقات ووسع الشوارع وأكثر من فتح المدارس ، فازدهرت دمشق في زمانه أيما ازدهار ، فأحبه أهلها وعرفوا فضله ومازالوا حتى الآن يذكرونه بكل خير ومكرمة ، ويتحدثون عن إصلاحاته وأعماله ، ولا تزال السوق التي أقامها هنا تكنى باسمه إلى هذا اليوم وهي من أكبر أسواقنا التجارية ، وتضارع بشهرتها سوق الحميدية .

رأى هذا الداهية المجرب أهل دمشق غارقين في ليالي القباني وحفلاته فوجدها فرصة سانحة للاصـلاح والعمران ، وأراد أن يزيدهم مما هم فيه من لهو ومتعة ، فأدنى القباني من مجالسه ، وصار يتردد على مسرحه وينشطه كما كان يفعل سلفه « صبحي باشا » وكان يجلسه في مجالسه الخاصة بجانبه ويغدق عليه المنح والأعطيات حتى غدا لديه من أقرب المقربين يستشيره في أمور البلد ويركن له ويعول عليه ، لأنه رأى فيه صفات الفنان المخلص لفنه المولع بعمله ، وقد لقبه بلقب « كوميدى » الشرق ...

لم يطل بقاء مدحت باشا في دمشق كما طال أمد سـلفه ، ولـكنه في خلال هذه المدة الوجيزة التي وجد فيها خلف من الآثار العمرانية والأعمال الإصلاحية ما يعجز عن الإتيان بمثلها من أقاموا في دمشق السنين الطوال من الولاة والحاكمين ، وفي سرحة من سرحات ذلك القلم الدنف نقل مدحت باشا من دمشق ، وأقيم مقامه « الوالي فاضل باشا » .

وكـان هذا الوالي ضعيفاً خائر العزائم مفلك الأعصاب يفزع من خياله ، فاغتنم خصوم القباني فرصة ضـعف هذا الحاكم ، وأخذوا يدسـون عليه ، ويناوئونه في عمله حسداً ولؤماً وغيرة فوجدت وشاياتهم وتخرصاتهم عنده آذاناً صاغية ، وقلباً واعياً .

وكانوا من الأشرار الذين تأكلت أكبادهم من السـل حسداً وخسة ودناءة .

فبدا للقباني أن يترضى هذه الفئة الخطرة بالمـال والرشوة وبإعطائهم بطاقات دائمية يدخلون بها المسرح من غـير أجرة إسـكاتاً لهم وإخراساً لأفواههم ، فوجدوا بهذا الصنيع باباً للـكسب ، جرأهم على طلب المزيد منه ، وجرأ غيرهم على إقتفاء آثارهم ، وبعد أن كان القباني ينفق ثلاثة أرباع دخله على المسرح وترقيته وجلب الناقص إليه غدا ينفق هذا الفائض من الدخل على إسكات الخراسين الهازين المفسدين ، فطمع فيه الناس وهان على خصومه أمره ، فأفسدت عليه هذه البادرة عمـله ، ولم تقتصر

هذه الرشوات على تلك الفئة من أبناء البلاد والأركزية والقبضايات أمثال «أبو قاعود»، وأبو زطام، وأبو إصطيف» بله تعدتهم إلى الشيوخ الإنتهازيين المرتزقين الذين لا يراعون إلا ولا ذمة، فصاروا إذا ما بدا منه قصور فى هذا الباب أثاروا الدهماء عليه من سواد الأمة وسوقتها باسم الدين، وقديماً كان وتر الدين فى مثل هذه المواقف حساساً يستولى به الخاصة على العامة.

أما فى هذه الأيام فلقد قامت الوطنية مقام الدين فى مثل هذه الحالات وتضاءل تأثير الدين ولذا قال أحدهم فى هذا المعنى:

أحبولة الدين ركت من تقادمها
فاعتاض عنها الورى أحبولة الوطن

وكان الوالى الباشا منهمكاً فى تثبيت مركزه وإشغال أهل الشام عنه بغيره، فراق له هذا النزاع القائم فى الشام ما بين جماعة القبانى ومريديه وما بين خصومه وحساده، فأضرم النار وأذكاها ليلهيهم عنه على قاعدة فرق تسد، فانقسم الناس فى هذا السبيل إلى قسمين، قسم بجانب القبانى يناصره ويسانده، وهو الطبقة الراقية المثقفة فى البلاد، وقسم يناهضه ويناكسه وهى طبقة الرعاع والجامدين الرجعيين، فاشتد الأمر على القبانى وعظم الكرب وحار فى أمره.

وكانت المهاترات والتراشق بالحجارة والشتائم توجه إليه وإلى أنصاره كلما أبصره خصومه صبحاً ومساء.

وكانت كثيراً ما تقع الواقعة ما بين أهل باب السريجة مسقط رأسه وباب الجابية التى نشأ فيها وترعرع، وما بين حى العمارة والقيمرية مواطن خصومه ومنافسيه، فيقتتلون من أجله بالحجارة والمدى والخناجر، وتنقلب ساحات هذه الأحياء إلى ساحات قتال تنذر بأفدح العواقب وأسوأ الخواتيم...

ولقد خرجت هذه الخصومات عن كونها داخلية صرفة، فانتقلت أخبارها إلى الخارج.

ولما رأى المنافسون أنلا قدرة لهم على تقويض أركان مسرح القبانى، ودك معالمه ومنع صاحبه من مزاولة العمل نظراً لدفاع الرأى العام الواعى المثقف عنه ألفوا وفداً وعلى رأسه ابن الغبرة الشيخ سعيد، وكان شيخاً متحذلقاً ثرثاراً وهو أشد خصومه عليه قسوة ونقمة وكيداً وحسداً.

ركب هذا الوفد المتظلم المستعدى البحر وجهته دار الخلافة العثمانية «إستانبول» عاصمة الدولة، ولما وصل هذا الوفد إلى دار الخلافة مكث فيها مدة وهو يحتال للوصول إلى مقر السلطان دون جدوى، لأن الوصول إلى «عرينة» الأسد وقتئذ أهون من الوصول إلى مقر عبد الحميد نظراً لكثرة الإحتياطات والرقباء والعيون والأرصاد المنبثة حوله...

ولما يئس هذا الوفد من مقابلة الداهية الجبار هم بالعودة من حيث أتى، بيد أن أعصاب رئيسه السيد الغبرة الفولاذية لم تطاوعه على العودة إلى الشام دون أن ينال من صاحبه ويلحق به الأضرار التى ينتظرها له.

وبينما هو يفكر فى أمره إذا به يسمع من أحد أطراف الحاشية التابعة «لبلديز» أن السلطان سيصلى صلاة العيد فى أيا صوفيا، ففرح هذا المنافس الماكر فرحاً شديداً لهذا النبأ، وأزمع أن يرفع إليه شكواه وهو فى طريقه إلى المسجد مهما كلفه الأمر، وقد أعد لهذا الأمر عدته وهيأ له أسبابه.

وبينما كان موكب المليك ماراً فى عربته الفخمة التى يجرها الخيول المطهمة الرافلة فى أبهى وأجمل أحلاس الدمقس والحرير والأطالس، وفى أعناقها القلائد الذهبية والفضية مدلاة تمشى بنعالها الذهبية مشية الطاوس زهواً وتيهاً بما تحمله، إذا بصوت يدوى كالرعد مرجحناً من أعلى شرفة مطلة على الموكب بجأر صاحب الصوت بقوله:

يا مليك الزمان وصاحب العرش والصولجان، يا خادم الحرمين الشريفين وأمام القبلتين، يا أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين إن الشام التى أحبتك وذابت أكبادها تحناناً إلى ظليل عرشك أوفدت هذا الوفد إليك تستعديك على عدوك وعدو الله هذا القبانى الأفاق المستعبد الذى أحدث خروقاً فى الدين بترقيصه الفتيان المرد على المسارح وتهريجه وتمثيله مما لم تطق الشام على مثله صبراً، يحدث فى عصر أنت فيه الإمام الأوحد والركن الشديد، فأنقذنا يا رعاك الله من هذا البلاء المحتم، وإذا لم تنقذنا منه لا يعبد الله فى أرض الشام بعد هذا اليوم أبداً.

ولما ترجمت كلمة هذا المتحذلق المنافق إلى المليك بالحرف الواحد خشى سوء العاقبة وأصدر إرادته السنية بمنع القبانى من العمل وإغلاق مسرحه، فحملها هذا الغبرة الذى غبر على القبانى ونكد صفو عيشه وعاد بها إلى دمشق يزف لأصحابه البشرى.

(دمشق) (يتبع) حسنى كنعان

الشعر فى السودان

للأستاذ على العمارى

— ٥ —

على الرغم من وجود عدد غير قليل من الشعراء فى السودان ، فإن منزلة الشعر غير مرموقة ، وراويته غير مرفوعة ، وما زال كثير من الناس — حتى بعض المتعلمين — ينظرون إلى الشعر نظرهم إلى شىء تافه ليس بذى بال ، وقد كان الظن غير ذلك ، فإن علماء السودان الأعلام قد أحسنوا إحساناً محموداً حين نزلوا إلى ميدان الشعر ، وهم أهل التقوى ، وأهل الورع ، فقالوه ، وتناشدوه ، ونشروه على الناس . وحسبنا أن نعلم أن من كبار العلماء أمثال الشيخ أبى القاسم ، والشيخ الضرير ، والشيخ البنا الكبير ، قد قالوا شعراً فى النسيب ، ومن هذا النسيب نسيب رقيق عذب ، ربما كان يظن الجاهلون أنه مما لا يليق بمكانة العلماء . ولقد سرنى أن رأيت عالماً فاضلا هو شيخ علماء السودان الأسبق الشيخ أبو القاسم[1] هاشم يقول نسيبا مستقلا ، على قلة استقلال هذا الغرض فى شعر العلماء .

ولقد أحسن الأستاذ الفاضل سعد ميخائيل واضع كتاب شعراء السودان حين قال عن هذا العالم الجليل « ترى صورته وما عليه من برد الجلال والوقار فتظنه فقيها سيسمعك الشعر بروح الفقهاء ، بينما هو يحمل بين جنبيه مع التقوى والنزاهة قلباً رقيق الحاشية » نعم إن أكثر شعره فى المدائح النبوية ، ولكن تشبيبه لا يصدر إلا عن نفس ذات أريحية وهزة . والحق أن التزمت ليس من صفات العلماء الفاقهين لحقيقة العلم ، وإنما هو خلة أنصاف العلماء . قال الأصمعى : أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة ، وكان من أعقل من رأيت :

يأيها السائل عن منزلى   نزلت فى الخان على نفسى

(١) يقول صاحب شعراء السودان : أن لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أبو القاسم هاشم اليد البيضاء فى ترقية المعهد العلمى بالسودان ، فقد نظمه ، وأدخل عليه المكتبة العلمية التى كادت تكون فى صف أكبر المكتبات العلمية ، وهو صاحب الفضل فى نموها وترقيتها . أقول : والأمر كذلك ، وما زال هذا المعهد يرق على أيدى شيوخه ، وسيصل الى ما تأمله له إن شاء الله .

٣١٠٥٢

يغدو علىّ الخبز من خابز   لا يقبل الرهن ولا ينسى

آكل من كيسى ومن كسرتى   حتى لقد أوجعنى ضرسى

فقال : اكتب لى هذه الأبيات ، فقلت أصلحك الله ، هذا لا يشبه مثلك ، وإنما يروى مثل هذا الأحداث ، فقال : اكتبها ، فالأشراف تعجبهم الملح . هكذا .. الأشراف تعجبهم الملح ، ومن تزمت فإنما يتزمت على نفسه .

وقيل لأبى السائب المخزومى : أترى أحداً لا يشتهى النسيب ؟ فقال : أما ممن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

وقيل لسعيد بن المسيب رضى الله عنه : إن قوماً من أهل العراق لا يرون إنشاد الشعر ! فقال : لقد نسكوا نسكاً أعجميا ! وأنا فقد أعجبنى أن أرى فى علماء السودان من يخرج عن الأعراض الجافة المتزمتة إلى أغراض أخرى مقبولة طيبة ، قرأت للشيخ أبى القاسم قوله :

سلاها فهل قلبى سلاها وهل جرى   حديث سواها فى فمى ولسانى

ألا إننى قد ضقت ذرعا وشفنى   صدود الذى أحببته فجفانى

وقوله :

ما على عشاقها من حرج   إن حب الحسن فى الطبع كمين

وعدتنى وصلها فازداد ما   بى من الشوق إليها والحنين

إلى أشعار أخرى فى وصف المحبوبة ، والشوق إليها ، والحديث عنها ، والحنين إلى وصلها والتمتع بها .

وقديما مرت سكينة بنت الحسين على عروة بن أذينة — وكان على زهده وورعه وكثرة علمه وفهمه رقيق الغزل كثيره — فقالت له : أنت الذى تزعم أنك غير عاشق وأنت تقول :

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به   قد كنت عندى تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى فقلت لها   غطى هواك وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط . . . فليكن . أليس ابن قتيبة يقول ، وهو يتحدث عن الشاعر العربى وابتدائه بالنسيب ليميل نحوه القلوب ، يعلل ذلك فيقول : لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام » .

ولكن ، هل يمكن أن نعتبر النسيب فى شعر المدرسة القديمة التى نتحدث عنها ، نسيباً معبرا عما فى النفوس ، حاكيا عواطفها

وأحوال الوجد والصبابة ؟

وقد سبق أن أجبت عن مثل هذا السؤال ، فقلت : إن هذا النسيب نسيب تقليدى أكثر منه معبرا عن واقع الحياة ، ذلك أن الشعراء فى ذلك العصر حبسوا أنفسهم فى الشعر القديم ، وأطلوا على الحياة من نوافذه ، فكانوا صورة منه لا من حياتهم ، وقلدوه فى الغرض والطريقة ، وإن كان البون بعيداً فى الديباجة والمعانى . ونحن نضع بين يدى القارىء صورة للنسيب تكاد تكون عامة : ليس من البشر من تجافى الهوى قلبه ، فإن الهوى كرم فى الطبع ، يمثله اللفظ الرقيق ، والأخلاق الغر ، وهو الحياة ، والقلب من دونه بلقع من البلاقع لا ماء فيه ولا شجر ، أو هو مسرحة جرداء لا ظل ولا ثمر ، وأما العاذل فهو غليظ القلب ، جافى الطبع ، والحبيب . الحبيب كل المحاسن حارت فى محاسنه ، فما القمر ، وما الكثيب ، وما غصن البان ؟

وهو مهفهف القد ، ضامر الخصر ، يكاد من ثقل الأرداف ينبتر ، ريقه عذب ، وثغره مؤشر ، عابث بصبه ، حانث فى وعده ، سدود غدائره ، بلج محاجره ، دعج نواظره ، فى طبعه خفر ، وهو يصبى الحليم ، ويشفى السقيم ، وهى الظبى جيداً ومقلة ، وخدها الورد ، وعيناها السحر .

وهكذا يدور النسيب كله فى هذه الدائرة ، ولا يخرج عنها إلا القليل . ولكل شاعر حظ منها قل أو كثر ، وهذه أوصاف قد ألفناها كلها فى الشعر القديم ، ولئن كنا نقرؤها هناك مسوقة فى صور بديعة فيها الصنعة والروعة ، فإنا نقرؤها هنا — فى الأعم الأغلب — ساذجة غفلا .

قلت إن النسيب تبتدأ به القصائد ، وقل من الشعراء من خرج عن هذا التقليد ، وأكثر الشعراء من المشايخ وهؤلاء قل أن يقولوا غزلا مستقلا ، ومن عجب أن أكثر تخلصهم إلى أغراضهم يكون بإنكار الحب . هذا شاعر يدعى الهوى ، بل يقول إنه لا حياة له بدونه :

فتركتنى ما أستفيق من الهوى ... ونصبتنى للعاشقين مثالا

وهذا الذى لا يستفيق من الهوى ، والذى كان الغانيات أذ ... ، يمتع بهن سمعه وبصره ، هو الذى يقول :

أماطت لثاما دونه الشمس زينب ... ولاح لنا منها بنان مخضب
وحيت فأحيتنا ومال بمعطفنا ... حديث من الماذى أحلى وأعذب
فأصبحت مشغوفا وملت إلى الصبا ... على أن رأسى يا ابنة القوم أشيب
لعمرك ما هاجت غرامى خريدة ... ولا قادنى نحو الغواية مطلب
ولكن وجدا بالفضيلة هاجنى ... فجاء بأبياتى هوى وتصبب
عشقت التى تدعى الفضيلة إنما ... يقال لها فى مذهب الشعر (زينب)

نعم . وقد يقال لها ليلى ، أو مهدد ، أو دعد ، أو هند ، أو ما شاءوا من هذه الأسماء التى هى من الكنايات فى مذهب الشعر ، ولا وجود لها إلا فى ثنايا السطور .

وقد يجىء الشاعر بما لا يصدقه الواقع ، فيدلنا بذلك على أن للصناعة فى هذا الشعر مكانا .

نحن نعرف أن المرأة السودانية كهى فى صعيد مصر ، محجبة متمنعة ، دون الوصول إليها أهوال وأهوال ، ولكنى مع إعجابى بهذه الأبيات وإحساسى بحرارة الحب فيها ، أرى أن صاحبها نهج فى غير نهجه ، وسلك غير الطريق :

أستغفر الله لى شوق يجدده ... ذكر الصبا والمغانى أى تجديد
وتلك فضلة كأس ما ذممت لها ... طعما ، على كبر برح وتأويد
أرنو لسالف أيام لهوت بها ... مع الأحبة حيناً مورقا عودى
إن زرت حيا أطافت بى ولائده ... يفديننى ، فمل مودود بمودود
وكم برزن إلى لقياى فى مرح ... وكم ثنين إلى نجواى من جيد
لو استطعن وهن السافحات دمى ... رشفننى رشف معسول المناقيد
يا دار لهوى على النأى اسلمى وعمى ... ويا لذاذة أيامى بهم عودى

ولهذا الشاعر المبدع الشيخ محمد سعيد العباسى غزل رقيق ، بل كل شعره رائع ، يقول :

يا بنت عشرين والأيام مقبلة ... ما ذا تريدين من موءود خمسين
قد كان لى قبل هذا اليوم فيك هوى ... أطيعه ، وحديث ذو أفانين
ولا منى فيك والأشجان زائدة ... قوم ، وأحرى بهم ألا يلومونى
أزمان أمرح فى برد الشباب على ... مسارح اللهو بين الخرد العين
والعود أخضر ، والأيام مشرقة ... وحالة الأنس تغرى بى وتغرينى
أفديه فاتر الحاظ وقل له ... أفديه ، حين سمى نحوى يضربنى
يقول لى وهو يحكى البرق مبتسما ... يا أنت ، ياذا ، وعمداً لا يسمينى
أنشأت أسمعه الشكوى ويسمعنى ... أدنيه من كبدى الحرى ويدنينى

وفي هذا الشعر تسجيل لتقليد عند إخواننا السـودانيين ، ذلك أن المرأة — مهما طال عهدها مع زوجها — فإنها لا تدعوه باسمه ، فلذلك حيث يقول (وعمداً لا يسميني). هذا ما أعرفه عن الزوجة ، فهل تستحي العاشقة كذلك أن تدعو صاحبها باسمه ؟ العلم عند الحب !!

ومن الشعراء من ينساق مع عاطفته ، فيشبب تشبيباً مكشوفاً ويذكر ما نال من التمتع مع صاحبته ولكنه يلتفت حواليه فيضطر إلى أن يذر الرماد في العيون ، فيؤكد أنه لم يأت ما يسخط المروءة والدين :

كلما استعذب الدعابة مني لج في عتبه ليمجم عـودي
وإذا اهتاج من حـرارة قبلا تي ، أوما إلى بالتهـديد
فإذا ما اندفعت اثمه أسـلم لي ثغره الشهي الورود
يتغاضى عن احتكامي في الخصـر ، ويلتذ عنـد مس النهود

أليس هذا فعل امرأة صناع في الغزل ؟ أليس هو حديث عاشق مدمن ؟ ولكنه يسخر من القراء حين يقول :

لا تظنوا بي الظنون فإني يعلم الله واقف في حدودي
بخ ! بخ ! قـد عرفناك فقف حيث شئت !

ولست في الواقع أقفي على الشعر السوداني بالتقليد في النسيب لأن الشعراء خلت قلوبهم من الحب ، لا فإن لكل إنسان من الحب نصيبا ، كما يقول ابن قتيبة ، وإن حب الحسن لكمين في الطباع كما يقول شيخ علمائهم ، ولكن شتان بين إنسان يحب حباً هادئاً رزيناً ، لا يوحي بشعر ، وبين إنسان يلذعه الحب ، وتكوى الصبابة قلبه ، فيعبر عن ذلك بشعر تحس وأنت تقرأه بأن فيه رائحة كبد تشوى على جمرة الهوى . وعندا أكثر هؤلاء الشعراء لم يلق الحب في أشعارهم شيئاً من حرارة الجوى ، أو رقة الوصال .

ومما يلفت النظر أنك لا تكاد تجد في هذه الأشعار وصفاً للغادة السودانية ، فكل محبوباتهم يخجل البدر منهن ، وقد سرق الورد حمرة خدودهن ، وربما وجدنا لبعضهم لمحة خفيفة . قرأت للشيخ إبراهيم أبو النور ، وهو من علماء المعهد العلمي هذه الأبيات :

تخال الوجـه منها بدرتم وتحسب ثغرها حب الغمام
وقد زادت مـلاحتها بشرط على الخـدين خطط بانتظام
محجبة فـلم تبرز لشمس ولم تعرف محطات الـترام

والذي استوقفني في هذا الشعر أمور ، فإنه ذكر الشرط ، وهو مايصنع في أوجه السودانيات من علامات الجمال ، ولكل قبيلة من القبائل أشراط معينة ، بحيث يمكن معرفة القبيلة بمجرد النظر في الوجه ، وهي عادة لا تزال موجودة في كثير من القبائل . وطريقة صنعها أن يؤتى بموسى ، فتخط ثلاثة خطوط مستطيلة في كل خد من خدي الطفل ، وهذه عامة . وبعض القبائل تضيف إليها شرطاً مستعرضاً أو شرطين ، مستقيما أو مائلا ويعتدون ذلك من علامات الجمال .

وقد حدثني الشيخ أبو النور هذا — وهو عالم واسع الاطلاع — أنه قرأ في تاريخ عبد القادر الجزائري أنه لما ذهب إلى مكة سئل عن هذه الأشراط ، أهي موجودة عند العرب ، فأجاب بالإيجاب ، وذكر على ذلك شاهداً قول شاعرهم :

رأيت لها شرطاً على الخد قدحوى جمالا ، وقد زاد الملاحة بالقرط
فقلت أريد اللثم قالت بخفية فقبلتها ألفاً على ذلك الشرط

ثم قال الشيخ : وتسمى هذه الشروط الشلوخ واللعوط ، وهذه الأخيرة من لغة حمير ، وأنشد على ذلك قول الشاعر :

وبي حبشية سلبت فؤادي فلم يمل الفؤاد إلى سـواها
كأن لعوطها طرق ثلاث تسـير به النفوس إلى هواها

وعندي أن هذا الشعر أقرب إلى الصدق ، من الشعر الذي يصف المحبوبة بأنها بدر السماء ، أو زجاجة خمر :

أما الأمر الثاني الذي لفت نظري في شعر هذا الشيخ فقوله : ولم تعرف محطات الترام . وهل محطات الترام هنا كما هي في كثير من البلدان ، ملتقى العشاق ، ومكان لصيد الظباء الحرام .

وكدت أوقن بأن هذا شعر شاب عصري ، لولا أن الشيخ دلني بباقي القصيدة على أنه من العلماء ، وحسبك دليلا على هذا قوله :

فني بالزكاة على فقير ومسكين كئيب مستهام

ولم ينس الشعراء النؤى والأحجار والأطلال ، لتتم صورة التقليد للشعر العربي ، فهذا شاعر يعيش في عاصمة البلاد يقول :

أما وقد شـطت بهند دارها ولقيت بعد فراقها الأهـوالا
فتعال للاطلال نندب ماضيا ولى وأياماً مررن عجالا

(وبعد) فإني على أي حال معجب بهذا النسيب سواء كان صدى لنفس مكلومة ، أو كان تقليداً للشعر القديم ؛ فإنه من حظ الشعر هنا أن يفيض هذا الغزل على ألسنة العلماء ، وأنه لكسب للأدب والشعر ، والتاريخ .

علي العماري
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمي بأم درمان

الأدب والفن في أسبوع

بين أديبين :

كان الأستاذ توفيق الحكيم قد كتب في أخبار اليوم كلمة بعنوان « الأديب الفني » ، قبل أن يعود الدكتور طه حسين بك من أوربا ، أبدى فيها شعوراً رقيقاً نحو الدكتور ، لما أذيع من أنه ساخط على بعض العلاقات والشؤون المتصلة به في مصر .

وبعد أن رجع الدكتور طه إلى مصر تحدث إلى الأستاذ بعض من يشتغلون بالإيقاع بين الناس أن الدكتور أول تلك الكلمة تأويلا سيئاً واتهم الأستاذ الحكيم بانعدام حسن النية فيما كتب ، فلم يخف إلى لقائه وزيارته بعد العودة ...

وتطوع الأستاذ أنور المعداوي لتصفية الجو بين الأديبين الكبيرين ، فأنهى إلى الدكتور طه وساوس الحكيم ، فقال الدكتور : الأمر على عكس ذلك فأنا قد قرأت الكلمة وسررت بها وبالطبع لم أجد فيها ما يحمل على سوء الظن ، وإن هذا الذي نمى إلى الأستاذ توفيق هو من الدس الدنيء الذي نشكو من انتشار أصحابه في هذه الأيام . وقد كنت في إسبانيا قبل أن تصل إلى الكلمة ، وألقيت في جامعة مدريد محاضرة عن الأدب المصري الحديث ، كان لتوفيق الحكيم فيها أكبر نصيب ، فقد أظهرت فضله وسبقه في التأليف المسرحي وشغل ذلك نحو نصف المحاضرة ثم ابتسم الدكتور طه ابتسامته اللطيفة وقال : ألا ترى أن ما بلغ توفيق الحكيم كان يدعوه إلى أن يصحح الموقف ويعمل على إزالة ما علق به من غبار ؟

والواقع أن مجالس أدبائنا عامرة بالأحلاس الذين يتقربون إليهم بأمثال تلك الدسائس ، وقد يحمل بعضهم على ذلك رغبته في أن يظهر بمظهر المتصل المطلع الذي يعرف ما قال فلان والذي هو من الشأن بحيث يتحدث إليه فلان عن فلان !

ومما يدعو إلى الأسف أن أدباءنا يأخذون بهذه الترهات ويتأثرون بها في علاقاتهم . ومن العجيب أنهم كانوا من الخصومات الأدبية ، ولكنهم لم يبرؤوا من الصغائر الشخصية . مع أن الأولى هي الأجدر أن تكون من دون الثانية .

وتدل القصة السابقة على أنه من الممكن أن يقضوا على القيل والقال بالمواجهة والتواصل ، ويتبينوا حقيقة ما يقال لهم . وهم أولى الناس بذلك ، لأنهم الحصفاء الذين يمحصون الكلام ويعرفون زيفه من صحيحه .

مؤلف « نحو المجد » :

طغيان رجال المسرح والسينما على المؤلفين ، داء متفش يشكو منه الجميع ، فكثير من الأفلام لا يعرف الناس لها مؤلفين ، كاللقطاء حرموا النسبة إلى الآباء ، وكما يتبنى الراغب في الولد لقيطاً يتلب المخرج على الفلم ، فيسنده إلى إخراجه ويسكت عن تأليفه . والأصل في ذلك — على ما يبدو لي — ذلك النوع من الإنتاج الذي يلفقه المخرج من الروايات الأجنبية ، وتطور ذلك إلى استضعاف المؤلف وإرضائه ببعض النقود ، وهذا النوع الضعيف التافه من المؤلفين متوافر في السوق مع الأسف ، وقد استراح إليه المخرجون والممثلون ليتسموا بميسم الأدب والثقافة إلى جانب الإخراج والتمثيل ، فيشبعون « مركب النقص » كيلا يقال إنهم غير مثقفين ...

ولكن الأمر تطور بعد ذلك فقد دخل ميدان التأليف نفر من ذوي الكفاية والكرامة ، ولا يزال أولئك المخرجون على ما عودوا ، متمسكين بحق الانتحال ، مدفوعين بدافع القصور الذاتي ... وهنا بدأ الصراع ، ورأى الناس أخيراً أمثلة منه ، وتجمع بعض هؤلاء المؤلفين وتحدث بعضهم إلى بعض ، قالوا : كيف يغمط حقنا ونحن أصحاب الخلق والإبداع في هذه الفنون ؟ وكيف يقدم علينا كل من هب على الشاشة ودب على المسرح ، وعملنا هو القلب ولا تخرج أعمالهم عن الإطار والتلوين ؟

وآخر مثل من ذلك الصراع ما جرى في فلم « نحو المجد » الذي عرض يوم الاثنين الماضي في يوم الجامعة الخيري ، بدار سينما رويال تحت الرعاية الملكية السامية وبرياسة معالي وزير المعارف . مؤلف القصة وكاتب الحوار هو الأستاذ عبدالحميد يونس المدرس بكلية الآداب ، ولكن ظهرت الإعلانات عن الفلم

وليس فيها اسم المؤلف ، وليس هـذا فحسب ، بل نجد أنفسنا أمام نوع جديد في ذلك المضمار فالمخرج لم يكتف بالاقتصار على إسناد الإخراج إليه ، فأضاف جديداً في « الفن » إذ كتب في الإعلانات « تأليف وإخراج الأستاذ حسين صدقي » ومعنى ذلك أنه يدعى التأليف ! فراع ذلك مؤلف القصة وكتب إلى المخرج ينبهه إلى هذا التصرف العجيب وينذره ، إن لم يقف سـيل الإعلانات ، ويغير (أكلشيهاتها) أن يتخذ سبيله إلى القضاء .

ومن حيث أن الفلم تحت الرعاية الملكية السامية وإشراف معالي وزير المعارف ، ومن حيث أن المؤلف مدرس بالجامعة والفلم جامعي يعالج مشاكل طلاب في الجامعي ، ومعروض في يوم الجامعة الخيري ، فلم يكن من اللائق أن تلابسه هذه المهزلة ويعتدى على حق مؤلفه هـذا الاعتداء المنكر .

البكاء الجميل :

سمعت من المذياع في أحد أيام هذا الأسـبوع ، تمثيلية « الشهداء » وهي تتضمن قصة الخنساء وفجيعتها في أخويهـا معاوية وصخر ، ثم إسلامها واغتباطها باستشهاد أولادها الأربعة في إحـدى الحروب الإسلامية . وهي تمثيلية جيدة لست أدري كيف غالطت الإذاعة فقبلتها ... وليتها تكثر من هذا الغلط ...

وقد مثلت الخنساء فتاة ذات نطق فصيح وصـوت عذب ونبر حلو حتى في البكاء ... ومما أنشدته من شعر الخنساء هذا البيت :

إذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

والمعنى الذي قصدته الخنساء مفهوم ، فهي ترى بكاءها على أخيها حسناً جميلا لأنها تستعذبه وتلذه . ولكن الفتاة الممثلة أوحت إلى خاطري معنى آخر ، فقد كانت تنشج بصوت لا أثر للحزن فيه لأنها لم تندمج في الدور ، وكانت توقع كل بيت وكل كلمة على هذا النشيج المصنوع وهي كما أسلفت ذات صوت عذب حلو ، فكان بكاؤها جميلا في المسامع ، لا كجمال بكاء الخنساء .

أو كما قال الدكتور طه حسين في إحدى مقالاته بالأهرام : إن الشاعر يقول البيت أو الأبيات تعبيراً عما في نفسه ، ولا يدرى ماسيحدثه وماسيثيره بعد ذلك من شتى الخواطر والمشاعر في مختلف النفوس على تعاقب الأزمان والأجيال .

كشكول الأسبوع

* طبعت الإدارة الثقافية بالجـامعة العربية ، بحثاً للدكتور محمد عوض محمد بك ، عنوانه « الصهيونية في نظر العلم » وتقوم الإدارة بتوزيعه .

* ظهر العدد الخامس من مجلة المجمع اللغوي ، وقد مضى نحو عشر سنين على ظهور العدد الرابع .

* قالت جريدة النهار اللبنانية إن مندوب تركيا في اليونسكو همس في أذن أحد الصحفيين : « مؤتمر كلام ، كلام بكلام بكلام ... نأمل أن يثمر نتائج عملية لأحفادكم أنتم الشباب » .

* كتب أديب ناشىء كلمة في الأهرام قال فيها : « نحن رجال الفكر والفن والأدب » ويذكر بهذا الشويعر الذي قال إنه أشعر الشعراء . فقيل له : اسكت أنت حتى يقول ذلك الناس . قال : والله لقد مكثت ثلاثين سنة فما قالها أحد . .

* وقال ذلك الأديب في تلك الكلمة إن المخرجين الأمريكيين آلهة صغار بالنسبة ليوسف وهبي . وقد علق على ذلك أحدهم فقال : نعم ليس يوسف وهبي إلهاً صغيراً فقد مثل الحاكم بأمر الله !

* صـدر قرار مجلس الوزراء أخيراً بمضاعفة أجر الترجمة في وزارة المعارف ، وذلك أن الوزارة كانت تحاسب المترجمين الذين يقومون بترجمة الكتب التي تختارها للثقافة العامة باعتبار الكلمة بمليم ، فأصبحت الآن الكلمة بمليمين

* أذاعت محطة لندن العربية مساء الاثنين الماضي برنامج رثاء للمرحوم الأستاذ محمد محمود جمعة الذي كان يعمل فيها معلقاً على الحوادث . وكان قد جاء أخيراً إلى مصر وعين مدرساً بكلية دار العلوم .

* سئل أحد النقاد : كيف تكتب في النقد المسرحي وأنت لم تشتغل بالمسرح ؟ فقال : وهل يجب علي أن أبيض البيضة لأعرف إذا كانت جيدة أو فاسدة ؟

القسم السودانى الانجليزى :

« أقسم مخلصاً وأعلن صادقاً أننى أؤيد المؤسسات السودانية التى تأسست بمقتضى هذا القانون ، وأن أبذل جهدى فى كل الأوقات للعمل لمصلحة السودانيين » .

هذا هو نص القسم الذى طلب إلى أعضاء الجمعية التشريعية بالسودان أن ينطقوا به . وليس من همى هنا أن أتعرض له ، من حيث اعتراض بعض الأعضاء عليه ، لأنهم يرفضون التقييد بقوانين فرضت عليهم ، وإنما يؤيدون ويحلفون على القوانين التى يضعونها ، ولا من حيث غضب الحاكم العام على هذا الاعتراض .

إنما أريد أن أنبه إلى هذه الصيغة الإنجليزية فى القسم ... فالقسم فى العربية يذكر فيه المقسم به فيقال — مثلا — : أقسم بالله . أما الاكتفاء بفعل القسم فهو من عمل الانجليز .

وهكذا تستهل الجمعيـة التشريعية السودانية ، استهلالا إنجليزيا حتى فى القسم !

الهمزة الحيرى :

من المسائل التى يهتم بها الآن مجمع فؤاد الأول للغة العربية تيسير الإملاء . وتواصل اللجنة المنوط بها هذا العمل اجتماعاتها لتفرغ من إعداده ، وتقدمه إلى مؤتمر المجمع ، بغية الموافقة عليه فى هذه الدورة .

وفى أحد اجتماعات لجنة الإملاء حمل الدكتور أحمد أمين بك على أوضاع الهمزة المختلفة حملة صادقة فقال : كيف تنفرد الهمزة بهذا التقلب فلا تستقر على حال ، فترسم مرة على ألف ، ومرة على واو ، ومرة على ياء ، ومرة مفردة . ويلاقى الكاتب فى تقليبها على هذه الأوضاع المختلفة عناء أى عناء ... وما هى إلا حرف كسائر الحروف التى لا تتغير بتغير الحركات ؟

وأذكر أن الأستاذ رفعت فتح الله المدرس بكلية اللغة العربية كان له بحث فى هذا الموضوع نشر منذ سنين بجريدة الأهرام تحت عنوان « الهمزة الحيرى » ويغلب على ظنى أنه اقترح فيه أن ترسم الهمزة على ألف أو تكتب ألفاً فى جميع الأحوال . وكم لهذا الاقتراح — لو نفذ — من أثر فى كسب الأوقات والجهود التى تضيع فى تعليم وتعلم رسم الهمزة التى احتارت وحيرت الناس معها ، فأكثر مشا كل الإملاء من هذه الهمزة .

وما إخال المجمع إلا يرحب بمثل ذلك . فهل يرى الأستاذ رفعت أن يقدم بحثه إلى المجمع ؟

من طرف المجالس :

كنا فى مجلس أستاذ كبير ، إذ أقبل أحد المكثرين من التأليف ومعه مجموعة ذات عدد من مؤلفاته ، وقدمها للأستاذ الذى أخذ يلقى على كل منها نظرة ، ثم فرغ منها والتفت إلى المؤلف قائلا : أأنت كل هذا ؟ يظهر أنك « فاضى » .

وتبادل الجالسون ابتسامة خفية ذات معنى لا أدرى هل قصده الأستاذ أو جاءت التورية عفواً على لسانه ... ؟

الإذاعة بين البلاد العربية :

تضع الإدارة الثقافيـة بالجامعة العربية ، مشروعاً جديداً يقتضى تعاون محطات الإذاعة فى الدول العربية على تعريف البلاد بعضها ببعض . وذلك بأن تختار كل محطة طائفة من المحاضرين تتعاقد معهم ليتحدثوا عن بلادهم فى كل نواحى حياتهم : من ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية . ثم تسجل هذه الأحاديث وتتبادل دور الإذاعة المسجلات لإذاعتها فيتم بذلك التعارف بين البلاد العربية على نطاق واسع .

ومما يشمله المشروع أن تسجل كل محطة نخبة مختارة من الألوان القومية للفنون فى بلادها كالموسيقى والغناء والأزجال وغيرها وتتبادل مسجلاتها أيضاً .

عباس خضر



المآصر في بلاد الروم والإسلام (*)

تأليف الأستاذ ميخائيل عواد

في مطلع عام ١٩٤٨ ، أصدر الأستاذ ميخائيل عواد كتيباً صغير الحجم ، طريف الموضوع ، سماه : « المآصر في بلاد الروم والإسلام » . ذكر في مقدمته : « أن مواده نشرت في ستة أعداد من مجلة المقتطف في سنتي ١٩٤٤ — ١٩٤٥ م ، وأنه رجع إليها بعد ذلك ، فزاد فيها وهذب حتى استوى منها هذا الكتاب الجديد » .

والأستاذ ميخائيل عواد باحث دقيق ، واسع الحيلة ، كثير الأناة ، جميل الصبر على مشاق البحث ، ومتاعب التنقيب ، يعمل في هدوء وصمت وأدب ، وهو مثل أخيه الأستاذ كوركيس عواد من تلاميذ مدرسة فقيد العربية الأب أنستاس الكرملي ، أخذا عنه ، وورثا طريقته في البحث والاستقصاء ، والعناية الفائقة ، والدقة والإتقان في كل ما يكتبان ، وقد أخرجا منفردين ومجتمعين آثاراً قيمة ، ونشرا أبحاثاً دقيقة مما يذكرها لهما قراء العربية بالإعجاب والتقدير .

وكتاب « المآصر في بلاد الروم والإسلام » الذي أصدره الأستاذ ميخائيل عواد أخيراً صغير الحجم في نحو تسمين صفحة مع فهارسه الخمسة التي استغرقت عشرين صفحة منه ، ولكنه مع صغر حجمه بحث قيم ، وموضوع جديد على المكتبة العربية . ويظهر من الاطلاع عليه أنه مجهود شاق ، وعمل عظيم في بابه ، وحسب القارئ الكريم أن يعلم أن مؤلفه رجع — في إعداده — إلى نحو تسمين مرجعاً قديماً بين مخطوط ومطبوع ، وأبحاث ومقالات في المجلات .

وقبل أن نعرض لكتاب « المآصر في بلاد الروم والإسلام » ، ونبين مقدار التوفيق الذي بلغه مؤلفه في بحث موضوعه نرى أن نضع بين يدي القارئ الكريم موجزاً في مفهوم « المآصر » ، ومعناها في اللغة ومبناها من حيث التصريف ، ثم ما يقصد منها عند الإطلاق حتى يكون على بصيرة ، ويستطيع الحكم — وهو على بينة من أمره — على مجهود الأستاذ صاحب المآصر ، ومقدار حظه من التوفيق .

فالمآصر جمع مأصر ، والمأصر بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر الصاد ، اسم مكان على وزن مفعل بكسر العين من أصر يأصر بمعنى حبس يحبس ، فالمأصر على ذلك موضع الحبس ومكانه هذا معنى المأصر في اللغة ، ومبناها في التصريف ، ويطلق المأصر في كتب الأقدمين ويراد به مكان حبس السفن في البحار والأنهار ، أو مكان حبس السابلة في الطرقات لتستوفى منهم العشور والضرائب ، وبأسلوب آخر ، فالمأصر قديماً مثل موضع استيفاء ضرائب الدولة في نظامنا الحديث ، وقد يكون هذا الوضع على ساحل بحر أو شط نهر ، وقد يكون على طريق عام

ولا بد لهذه المآصر — حتى تستطيع حبس السفن والسابلة — من وسائل تساعدها على ذلك الحبس والمنع ، فهناك الحبال والسواحل التي تمد على مداخل الموانئ في البحار ، أو تمد على عرض النهر ، وهناك بعض السفن الصغيرة التي يستعان بها على ذلك الحبس والمنع . حتى يمكن استيفاء الضرائب . إلى غير ذلك من الوسائل التي لا بد منها في مثل هذه الأعمال .

وهذه الوسائل التي يستعان بها من حبال وسلاسل وسفن تسمى مواصر . والمواصر جمع ماصر . والماصر اسم فاعل من مصر بمعنى حجز ومنع ، ففي تاج العروس للزبيدي ، في مادة مصر : والمصر بالكسر الحاجز ، والحد بين الشيئين كالماصر ، وفي التهذيب : والماصر في كلامهم الحبل يلقى في الماء ليمنع السفن عن السير حتى يؤدي صاحبها ما عليه من حق السلطان .

ومما تقدم يتضح جلياً أن المآصر مواضع حبس السفن في البحار أو الأنهار ، أو مواضع حبس السابلة في الطرق العامة حتى تستوفى حقوق السلطان ، وأن المواصر وسائل ذلك الحبس من حبال وسلاسل وسفن

(*) تفضل مؤلف هذا الكتاب ، فأهدى إلى نسختين منه ، فأردت ان أشكره ؛ فتوفرت على قراءته مع ضيق الوقت وانشغال البال ؛ وكتبت عنه هذا المقال .

برهان

ويظهر أن الأستاذ ميخائيل عواد مؤلف كتاب « المآصر في بلاد الروم والإسلام » اختلط عليه الأمر ، فلم يدرك الفرق بين المأصر بالهمزة ، والماصر بالألف ، وظنها شيئاً واحداً . يدل على ذلك أنه لم يرجع إلى مادة « مصر » في مرجع من المراجع اللغوية التي نقل عنها واعتمد عليها في مادة « أصر » ، مع أن كل تلك المراجع تكلمت على « المأصر» في مادة « أصر » وعلى« الماصر » في مادة « مصر » . وإلى القارئ نبذة من تصدير المؤلف تؤكد اعتقاده بأن السلاسل والحبال والسفن تسمى المآصر، مع أنها من الوسائل التي من حقها أن تسمى بالمواصر . قال : وأهم ما يسترعي الاهتمام في كثير من هاتيك المواني وجود سلسلة ضخمة من الحديد تعترض الميناء ، فتحده من جهة البحر، رسخ أحد طرفيها في صخرة مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ، وربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع وضع داخل برج مطل على الميناء من جهته الثانية ، ويجلس في البرج المذكور شخص يطلق عليه اسم صاحب القفل بيده الأمر والنهي في خروج السفن من الميناء ودخولها إليه ، فيعمل على رفع السلسلة أو على خفضها . وشبيه بهذا ما كان يجري في بعض الأنهار ؛ غير أنه كثيراً ما استبدلت السلاسل بالقلوس ، والأبراج بالسفن النهرية [1] كما سيجيء تفصيله ، ويطلق على هذه كلها « المآصر » وكانت الثغور ذات المآصر تتمتع من جهة البحر بسلام لا يضارعها فيه إلا تلك المدن التي تحيطها الأسوار [2] ويحرسها الحراس ، فالمأصر إذن الحصن الحصين لبعض المواني ، وسدها المنيع تدفع به عنها كل غزو يأتيها من جهة البحر [3] » .

وقد جره هذا الاعتقاد باتحاد معنى المأصر والماصر إلى أغلاط كثيرة في ثنايا الكتاب ، فإنه قال في ص٩ : وقد نسب إلى المأصر نفر من الناس . ثم نقل من كتاب الأنساب للسمعاني ترجمة أبي بشر يونس بن حبيب الماصري بعد أن وضع الهمزة فوق ألف الماصر والماصري في تلك الترجمة في نحو عشرة مواضع !.

وصاحب كتاب الأنساب لم يعرض للمأصر بالهمزة أبداً ، ولم يذكر أحداً منسوباً إليه ، وإنما ذكر مادة الماصر بالألف ، وذكر أن المنسوب إليه هو يونس بن حبيب الماصري ، وأورد ترجمته . ويونس بن حبيب الماصري معروف بهذه النسبة في كل التراجم والأنساب قبل السمعاني وبعده ، فلم يقل أحد أنه مأصري منسوب إلى المأصر بالهمزة ، بل الكل مجمعون على القول بأنه ماصري منسوب إلى الماصر بالألف . فهذا الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بأبي الشيخ المتوفى في سلخ المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة عن خمس وتسعين سنة يذكر في كتابه طبقات المحدثين بأصبهان [1] يونس بن حبيب على أنه منسوب إلى جده الأعلى قيس الماصر ، وترجمة أبي الشيخ ليونس ابن حبيب هي أقدم ترجمة له . ويظهر أن كل من ترجم ليونس بعده أخذ عنه حتى ليغلب على الظن أن نص السمعاني منقول حرفياً عن أبي الشيخ . وابن أبي الشيخ هذا ولد بعد وفاة يونس ابن حبيب بنحو سبعة أعوام ، فهو أقرب المؤرخين عهداً من يونس بن حبيب ، وأعرفهم بأخباره وأحواله ونسبته .

وهذا مؤرخ آخر هو أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ يذكر يونس بن حبيب الماصري في كتابه أخبار أصبهان على أنه منسوب إلى جده الأعلى قيس الماصر ، ويترجمه ترجمة قريبة جداً من ترجمة أبي الشيخ [2] .

هذا رأي مؤرخين جليلين ممن سبقوا السمعاني ، وإلى القارئ بعد ذلك رأي مؤرخين آخرين ممن أتوا بعد السمعاني .

فهذا ابن الأثير يقول في كتابه « اللباب في تهذيب الأنساب [3] » : الماصري بفتح الميم وسكون الألف وكسر الصاد وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى الماصر ، والمشهور بهذه النسبة يونس بن حبيب الخ .

وهذا السيوطي يقول في كتابه « لب اللباب في تحرير

---

(١) قلت : القلوس جمع قلس . وهو حبل ضخم من ليف أو خوص، وصواب هذه العبارة أن يقول : استبدلت القلوس بالسلاسل ، والسفن النهرية بالأبراج ، فإن الباء في مثل هذا الأسلوب تدخل على المتروك كما هو معروف .

(٢) قلت : الصواب أن يقول : التي تحيط بها الأسوار .

(٣) من تصدير المؤلف ص ٦

(١) راجع النسخة المخطوطة من هذا الكتاب المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ص ١٥٨ — ١٥٩

(٢) راجع كتاب « أخبار أصبهان » ج ٢ ص ٣٤٥ طبع ليدن سنة ١٩٣٤ م .

(٣) راجع الورقة ١٦٦ ج ٢ من النسخة المصورة المحفوظة في خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ وهي نسخة جيدة غاية في الإتقان كتبت برسم الخزانة العالية الملكية المخدومية سنة ٧١٨ هـ بخط عبد الغني بن عبد المؤمن بن إبراهيم العجمي الصوفي . وهي في مجلدين في ٥٢٨ ورقة

الأنساب(١) » : الماصرى بكسر المهملة وراء . إلى قيس الماصر الخ .

هذا ، ومن المعروف أن نص كتاب الأنساب للسمعانى الذى نشره مرجليوت مشحون بالأخطاء .

وقد ورد فى النص الذى نقله الأستاذ ميخائيل عواد عن الأنساب فى ص ٩ بعض الأخطاء فى نص الأصل ، فلم يتنبه لها الأستاذ ، ومرّ عليها مرّ الكرام ، وتنبه لبعضها وحاول تصحيحها ، فزادها فساداً ! وتوهم الخطأ فى بعض جمل الأصل مع أنها صحيحة فحرفها وأفسد معناها . فمن النوع الأول : فى ص ٩ س ١٤ : العجلى المصرى . وهو خطأ وصوابه : العجلى الماصرى(٢) .

وفى ص ٩ س ٢٠ : أمام الحجاج مع الفراء . وهو خطأ فى الأصل صوابه : أيام الحجاج مع القراء(٣) .

ومن النوع الثانى ما صنعه فى نص صاحب الأنساب فى ص ٩ س ١٨ الذى يقول فيه : وكان — الحديث عن قيس الماصر جد يونس بن حبيب — أول من مصر الفرات ودجلة . حيث قال : كذا . والصواب : ماصر الفرات ودجلة ، وصنع هذا الصنيع نفسه فى نص كتاب لب اللباب للسيوطى الذى نقله فى ص ١٠ س ٤ ، ٥

ونص الأصل هنا صحيح لا غبار عليه ، وقد ورد كذلك فى طبقات المحدثين بأصبهان لأبى الشيخ ، وفى كتاب أخبار أصبهان لأبى نعيم الأصبهانى ، وفى اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير وفى لب اللبـاب فى تحرير الأنساب للسيوطى ؛ ومعناه صحيح أيضاً لأن كتب اللغة — كما قدمت — تذكر المصر ، والماصر بمعنى الحاجز ؛ فمعنى مصر الفرات ودجلة ، حجز الفرات ودجلة ، ومنع المرور منهما . ولـكن المؤلف لا يعرف الماصر بمعنى الحاجز ، ولم يرجع إلى مادة « مصر » فى كتب اللغـة ، فتوهم أن قول صاحب الأنساب : مصر الفرات ودجلة خطأ ، فأصلحه وجعله : ماصر الفرات ودجلة . فاخترع من عندياته فعلاً لم تذكره كتب اللغة ، وليس له معنى صحيح ، وأفسد نص الأصل مع أنه صحيح !

ومن النوع الثالث ما فى ص ٩ س ١٨ ، ١٩ ، فقد ورد فى نص الأصل ما يلى : فهى قليس المـاصر . وهى جملة مضطربة يظهر عليها التحريف » فأصلحها الأستاذ ميخائيل إلى : فهى قلس المآصر . ولـكن هذا الإصلاح زاد النص تحريفاً جديداً فوق تحريفه . والحديث هنا عن قيس الماصر . وصحة العبارة هى هكذا : وكان أول من مصر الفرات ودجلة ، فهو قيس الماصر . فقد ورد فى طبقات المحدثين بأصبهان لابى الشيخ هكذا : وكان أول من مصر الفرات ودجلة ، فسمى قيس الماصر ، وكذلك وردت هذه الجملة فى اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير .

وهذا تحريف آخر وقع من المؤلف حرف فيه نص الأصل الصحيح الذى لا يجوز غيره . فقد جاء فى نص السمعانى فى ترجمة يونس بن حبيب : وهو ابن بنت حبيب بن الزبير الخ . وكذلك هو فى طبقات المحـدثين بأصبهان لابى الشيخ ، وأخبار أصبهان لابى نعيم الأصبهانى ، ولـكنه تحرف فى كتاب المآصر فى بلاد الروم والإسلام ج ٩ ص ١٥ إلى : وهو ابن أخت حبيب بن الزبير ولم يدركه المؤلف .

ويظهر ان الأستاذ ميخائيل عواد أصبح قوى الإيمان باتحاد معنى المآصر والمواصر ، ثم أنه ينقل فى ص ٢٠ عن كتاب (رسوم دار الخلافة) لهلال الصابئ نصاً صريحاً بأن القلوس غير المآصر ، وأنها أداة من أدواتها ، ومع أنه يقول فى ص ٣٩ : المآصر ذات السلاسل الحديد ، والأبراج المنيمة الخ . وهذا صريح فى أن الأبراج المنيمة والسلاسل الحديد غير المآصر أقول : مع هذا وذاك ، إن الأستاذ ميخائيل عواد يسير فى سائر الـكتاب على اعتقاد الاتحاد فى المعنى بين المآصر والمواصر .

هذا الغلط فى الخلط بين المآصر بالهمزة وبين الماصر بالألف عيب كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام) البارز الذى يكاد يذهب بكل محاسنه . فإن القـارئ لا يستطيع — وهو يقرأ أحد فصـول الـكتاب — أن يجزم : هل الحديث الذى يقرأه حديث عن المآصر حقاً ، أم هو حديث عن المواصر . وإنما جعله الأستاذ المؤلف حديثاً عن المآصر لاعتقاده بأن المآصر هى المواصر ؟ . وهـذا الشك يرد على كل ما أورده الأستاذ فى كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام) . ويبدو أن أكثره حديث عن المواصر ، وإنما جعله الأستاذ حديثاً عن المآصر . وإن الأستاذ ميخائيل عواد ليحسن صنعاً لو أعاد النظر فى كتابه هذا ، وأفرد المآصر فى بحث خاص ، والمواصر فى بحث آخر حتى يكون عمله ذا قيمة علمية ويؤتى ثمراته الجنية .

هذه نظرة عامة فى كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام)

(١) راجع « لب اللباب فى تحرير الأنساب » ص ٢٣٤ طبعة ليدن سنة ١٨٤٠ م .

(٢) راجع الورقة ١٦٦ ج ٢ من النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة تيمور باشا من اللباب فى تهذيب الأنساب تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ

(٣) راجع ص ١٥٨ ، ١٥٩ من طبقات المحدثين بأصبهان لأبى الشيخ المخطوط المحفوظ فى المكتبة الظاهرية بدمشق .

أردت بها وجه الحق ، والفصح للأستاذ المؤلف . وفى الكتاب بعد ذلك هنات هينات لا يمكن أن يخلو من مثلها كتاب . وأنا عارض بعضها فيما يلى عرضاً سريعاً حتى يتداركها الأستاذ المؤلف عند إعادة النظر فى الكتاب :

(١) بحث المآصر فى كتب اللغة وما إليها . كان حقه أن يكون بحثاً قائماً بذاته ، لا أن يجعل ضمن الباب الأول المعقود للمآصر النهرية بالعراق .

(٢) أشار المؤلف فى التصدير إلى ميناء أطرابلى المعجيب ، ونقل شيئاً مما قاله ابن حوقل واليعقوبى عن هذا الميناء ، ولكنه لم يعرض له فى صلب الكتاب .

(٣) وردت كلمة (المواني) فى ص ٥ ، ٦ ، ٣٩ مرسومة هكذا : (الموانىء) وهو خطأ فى الرسم .

(٤) يقول المؤلف فى ص ٩ : إن الجواليقى نبه إلى خطأ شائع فى لفظ المآصر — يقصد المأصر — وقع فيه أكثر اللغويين الذين تطرقوا إلى ذكرها ، فقال : (. . وهو المأصر بكسر الصاد ، وفتحها خطأ الخ) والظاهر أنه نسى أنه نقل مثل هذا التنبيه على خطأ فتح الصاد عن الحريرى قبل ذلك فى ص ٧ .

(٥) فى ص ١٢ س ١٢ : حدثنا شعبة عن ابن إسحق . فقال المؤلف : لعله أبي إسحق . وقد ورد هذا الاسم صحيحاً فى ص ٧٠ ، فلو أن المؤلف رجع إلى الاسم هناك لما تردد .

(٦) فى ص ١٧ نقل النص الآتى : (وقد كان المكارى يبالغ فى أذى الناس ، وأخذ أموالهم ، ويقول : أنا قد فرشت حصيراً فى جهنم) . فعلق على كلمة (حصيراً) فى الحاشية بقوله : (الحصير الحبس : قال الله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) سورة الإسراء الآية ٧

وفى هذا التعليق غلطتان الأولى تفسير الحصير هنا بالحبس ؛ لأن المقصود بالحصير فى كلام المكارى هو ذلك الذى يفرش فى المنازل ويتخذ من البردى والأسل . قال فى تاج العروس : الحصير سقيفة تصنع من بردى أو أسل ، ثم يفرش . سمى بذلك لأنه يلى وجه الأرض . وفى الحديث : أفضل الجهاد وأكمله حج مبرور ثم لزوم الحصر بضم فسكون جمع حصير للذى يبسط فى البيوت قال الشاعر :

فأضحى كالأمـــير على سرير وأمسى كالأسير على حصير

والغلطة الثانية فى جعل الآية التى أوردها السابعة من سورة الإسراء مع أنها الثامنة .

(٧) فى ص ١٩ س ٣ وردت كلمة ملأ . وصوابها ملا بغير همزة مراعاة للوزن .

(٨) فى ص ١٩ ، ٢٠ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ وردت كلمة الصابئ مرسومة هكذا (الصابىء) وهو خطأ فى الرسم .

(٩) فى ص ٢٠ س ٧ قال : وقد مر بنا غير نبأ . وهو يقصد : وقد مر بنا أكثر من نبأ ، وقد تكرر نحو هذا الأسلوب منه فى ص ١٤ ، ٢١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٢ .

(١٠) فى ص ٣٤ س ٤ نقل هذا النص : لما كان الثامن والعشرين من شعبان الخ ، ولم ينبه إلى الخطأ فى كلمة العشرين . إذ الصواب العشرون .

(١١) فى ص ٦٠ س ١١ وردت جملة : منها لتثبيت الجسور وصوابها : منها تثبيت الجسور .

(١٢) فى ص ٦٢ س ٥ قال : ونسج البرجمى هـذا فى استيفاء البالغ من الضرائب والمآصر ونحوهما . فما معنى المآصر هنا؟

(١٣) فى ص ٦٢ س ١٧ ، ١٨ وردت جملة : وهو تحريف ظاهر . وصوابها : هو تحريف ظاهر بغير واو .

(١٤) فى ص ٦٣ س ١١ : قلت وراجم . صوابه : قلت راجم . بغير واو .

(١٥) فى ص ٦٥ س ٤ : وخرج الطائع لله فى تلقيه (لتلقى عضد الدولة) . وصوابه أن يقول . (تلقى عضد الدولة) بغير لام.

(١٦) فى ص ٧٠ أعاد رواية خبرين عن مسروق سبق له ذكرهما فى ص ١٢ . ومع أن رواية ص ٧٠ فيها زيادة هامة فى أحد الخبرين تتمم المعنى ، وتصحيحاً لاسم راو تشكك المؤلف فى اسمه فيما سبق . فإن المؤلف لم يتنبه لشىء من ذلك ولم ينبه إليه

وبعد فإن فى كتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » على صغر حجمه مجهوداً علمياً ، وبحثاً قيماً ، وعناء كبيراً ، بذل فى سبيل إعداده وإخراجه ، ولا يقلل من قيمة كل أولئك هـذه الملاحظات التى لاحظتها على عمل الأستاذ المشكور ، فإنه أول بحث فى بابه : لم يطرقه أحد من قبله ، فكان حقيقاً أن يكون وعر المسالك كثير المخاوف والمجاهل . وقد وضع الأستاذ ميخائيل عواد بكتابه هذا الصوى والمعالم على ذلك الطريق المجهول ، فسهل مهمة الباحثين من بعده ، فاستحق شكر قراء العربية على هذه الثمرة التى قدمها إلى المكتبة العربية . وإذا كانت هذه الثمرة غير تامة النضج فليس ذلك ذنباً يؤاخذ عليه ، وحسبه أنه بذل ما فى طاقته ، واستفرغ الجهد .

برهان الدين الداغستاني

فهرس الموضوعات للسنة السادسة عشرة من الرسالة